
ديوان
الشعر
العربي
المعاصر
الأعمال الكاملة
للشاعر
سميح القاسم
٣
دار سعاد الصباح

القصائد

الجزء الثالث

رقم الإيداع : ١٩٨٧/١٩٩٣
I.S.B.N. 977—5344—70—0

يناير ١٩٩٣

دار سعاد الصباح
ص.ب : ٢٧٢٨٠
الصفاة ١٣١٣٣ – الكويت
القاهرة – ص.ب : ١٣ المقطم ٢٦٧ دق
تليفون : ٣٤٩١٧٢٧ ٣٤٩٧٧٧٩ ٧٠٩٥٨٣
فاكس : ٧٠٩٥٦٣ ٥٠٦١٠٣٠

الاشراف الفنى : حلمى التونى

ديوان
الشعر
العربي
المعاصر

الأعمال الكاملة

للشاعر

سميح القاسم

القصائد

الجزء الثالث


دار سعاد الصباح

قصائد هذا المجلد (الثالث) من الدواوين التالية:

[١] قرابين.

١٩٨٣ ــ الناشر: مركز لندن للطباعة والنشر.

[٢] شخص غير مرغوب فيه (پرسونا نون غراتا).

١٩٨٦ ــ دار العماد (دالية الكرمل). طباعة حيفا.

[٣] لا أستأذن أحداً.

١٩٨٨ ــ دار رياض الريّس ــ لندن.

[٤] سُبحة للسجلّات.

١٩٨٩ ــ دار الأسوار ــ عكا.

[٥] أخذة الأميرة «يَبوس».

١٩٩٠ ــ كتاب مجلة عبير ــ إصدار:

دار النورس الفلسطينية ــ القدس.

[٦] القصيدتان «ليالي العُشر في الرميلة».

و «قلب سايكو» لم تنشرا في ديوان، سابقاً.

* تصدر هذه الطبعة عن « دار سعاد الصباح » - القاهرة - يناير ١٩٩٣

ظلال طائرة اسرائيلية

دفترٌ

ما خربش الأطفالُ فيه أيَّ حرفْ

دميةٌ جاحظةُ العينين

في ومضة خوفْ

طابةٌ

خبزٌ مبعثر

وفمُ الطفل المدوَّرْ

نُزعتْ للتوّ منه حلمة الأمِّ القتيلهْ

وذراعٌ

وجديلهْ .

أحرفٌ عبريةٌ

قنبلةٌ موقوتةٌ

جمرٌ دخانٌ وشظايا

كُتَلُ الإسمنتِ

أسمالٌ سناجٌ

مسندُ الكرسي

أنّاتٌ

زوايا

وقضيبان حديديّان ،

يمتدان نحو الله في شكل صليبْ

وامتدادٌ يشبه الشيءَ

وشيءٌ .. كالنحيبْ .

أدافع !

الطائرة الاسرائيلية
العائدة إلى قواعدها سالمة
تترك وراءَها خطاً أبيض طويلاً
(أطول من شراييني
أطول من أنابيب النفط)
ذلك الخط المتوعِّد كحبل المشنقة
هو البيت الأول في النشيد
أمّا بعد ،
فلا وزن يستقيم مع صرخات أطفالي الأخيرة
هل قلتُ أطفالي ؟

لم أزر صور .

لم أتمدد على كرسي القماش المُلوَّن

في شرفة فندق صيداوي

لم أنشد مطلعاً لجماهير بيروت

هل قلتُ أطفالي ؟

أنا المحروم من شرف التفجُّر بديناميت الحب

أنا أسير الحرب المتمتع بحقّ الانتخاب

أنا المواطن المقيم دائماً على مجرود الزبالة

هل قلتُ أطفالي ؟

لتزدرد الأسرارُ أسرارها

كاملٌ هو الوضوح

سلامٌ روحيّ غير منقوض

القصف براً وجواً وبحراً

بيانات الإحتجاج والإدانة

دمى الأطفال

وجماجهم المتناثرة

تحت جنازير الدبابات المتقنة

الخضرة المتلاشية في الضجيج
وقع الأقدام المرتجفة تحت بقايا الأدوات المنزلية
تكمُش الأكفُ الغضّة على فولاذ البنادق
هل قلتُ ؟
لا أتدخّل في الموازنات الدقيقة
يكفيني دمي ووضعي الدقيق
يكفيني سؤالي الصغير : لماذا ؟!
ولا أكتم سراً .
الوردة للتفاحة
التفاحة للحجر
وأنا أنزف وحيداً
أنزف دمي الثرثار الصادق الحار
أنزف دمي المرهون بالرحمة، مثل عنق طفل
لماذا ؟ لماذا ؟
أدرك معجزتي الخاصة
ولا أكتم سراً .
لم أتوقع هذه الخيبات

ومع ذلك أيها السادة

لن تتمتعوا ببكائي

رغم ذلك

لن أتنازل أيها السادة

اخترتم عذابي

واختار حياتي وموتي

وأنا أعرف كيف أدافع عن خياري الوحيد

أيها السادة

أيها الخنازير ..

إعترف !

تلك ليلاكَ

على أرصفة العارِ

بغيٌّ تتطوَّحْ

وعلى أذرعة البحَّارة الأغراب

تنشال وتُطرحْ

تلك ليلاك

دمٌ من غرف التحقيق يرشحْ

وصراخٌ حيوانيٌّ

بوحل الذلّ ينضحْ

تلك ليلاك

فهل تنكرها يا ابن الملوّحْ ؟

كلبةً

تضمر في الجوع وتنبحْ

فاعترف يا ابن الملوّحْ !

لا تقل لي :

« خلّها في القلب تجرحْ ! »

لا تقل لي :

كلّ ما في جسمك الميِّت يزري

كل ما في روحك الميِّت يفضحْ

فاعترف

يا ابن الملوّح !

تقرير من الجبهة

من منزلٍ مهدَّمْ
لمنزلٍ يصيحُ كل حجرٍ منهُ
بكلِّ حجرٍ منهُ
بكل شيءٍ
من حوله :
« تَقدَّمْ »
من ساحة ملغومةٍ لمدرسه
يتابع الغزاة زحفهم

ويبلغون حتفَهم

بالرّاية المنكّسه !

*

جسمٌ بدون رأسْ

رأسٌ بدون فمْ

تحت جليد الشمسْ

يصرخُ في العدَمْ

*

رأيتُ رأي العينْ

مقاتلاً في العاشره

يمشي بلا ساقين

ووجهُهُ ..

للناصره !

*

بعينها الكحيله

بالشفة البتول

بالوردة الحمراء في الجديله

حبيبتي ،

أميرة الفصول

تقاوم المدافع الثقيلة !

*

من طَللِ المخيَّم

يأتون

من خنادق التحدي

في شارع تهدَّم

يأتون

من كهفٍ ومن خرابَه

براية الصمود والتصدّي

ويبصقون دمهم في جبهة الدبّابه

يأتون بالأرز وبالزيتون

يأتون بالبيارق

يأتون في الحرائق

يأتون

من عُكّازة الشيخ

ومن شهيّة الجنين

يأتون بالحبِّ وبالحنين

بالموت واليقين

يأتون

فامدُد أذرع الدمار

يا أيها التنين

كلّ ذراعٍ ،

فوقها .. خضرٌ وسيفُ نار !!

قربانة الغيبة

في عزّ الظهيرة . وفي ظل دبابة اسرائيلية (الذي لا يعرف ما هي اسرائيل نقول : امريكية) مرابطة على الجرح الفاصل بين بيروت وذاتها. التقيت شاعر القيامة اللبنانية والموت اللبناني خليل حاوي . قال : «لم يبق لي غير ذلك . حاول أن تفهمني!» وعلى ضوء قذيفة قريبة أبصرت الدهليز الهائل في جسد خليل حاوي (دهليز رصاصة الخلاص) . ولجت باحثاً عن ملجأ من القنص .. وهناك بين قطرات الدم المتخثرة بسرعة مذهلة عثرت على هذه القصيدة .

أنتِ لم تنتشليني
من سدى موتي المعاد
من لظى الدوّامة السوداء في «نهر الرماد »*
ولقد بُحّت شراييني نباحاً انتحارياً
ولكن ،

---

* نهر الرماد ـ ديوان لخليل حاوي .

شئتِ ألّا تسمعيني

فاشهديني

في « جحيمي »[*] المضحكِ المُبكي

ولا بأس

إذا حاولتِ أن تسترجعيني

زهرةً بريّةً كالحب

عشباً طالعاً من حائط الاعدام

ظلًّا في دهاليز التكايا والسجونِ .

يا التي تعرف صوتي وذراعي وجبيني

حاولي أن تعرفيني

ضعتُ في ديجورك الناريّ دهراً

فاخرجي بعد دهورٍ

من متاهات جنوني

حاولي أن تجديني

يا التي تسقط بين النور والعتمةِ

يا كفّارة الشك

---

* من جحيم الكوميديا ـ ديوان آخر للشاعر .

وقدّاس اليقينِ .

أنتِ ما ناديتِ

لكنّي أتيتْ

شعلةً ينزف شرياني لها أطهر زيتْ

أنتِ ما ناديتني حياً

ولكنّي أتيتْ

مثلما غادرتِني

حياً وميتْ

فخذيني مثلما شئتِ

وما شئتِ اهجريني

واهبطي صوتاً على انقاض صوتْ

واسقطي بيتاً على انقاض بيتْ

واهدأي في القاع ،

كنزاً أبديَّ السرِّ

ظنّاً في الظنونِ

واعذريني

يا حطام القمر المأهول بالرعبِ وبالأرزِ

اعذريني ،

جفَّ حبر القلم المرهقِ

فلتُسعِفْ رصاصه

لم يُخلِّصكِ ،

ولكن ،

هكذا اختار مُغنِّيكِ خَلاصه !

(٨٢/٧/٤)

هل كان ضروريا ؟

هل كان ضرورياً ؟
أن يسقط قلبي كتفاحة فجّة
عن الغصن اليتيم في شجرة العائلة
حتى يكتشفوا قانون الحب ؟
هل كان ضرورياً
أن ينتشر الوباء
بأظافره المُقلَّمة
وربطة عنقه الزاهية

أن يُدفن المواليد الجُدد

قبل تلقّيهم الأسماء اللائقة ؟

هل كان ضرورياً

كل هذا الرعب الحيوانيّ الطافح كالقمر

كل هذا الصمت القمريّ

هل كان ضرورياً

أن نعود الى الوراء

كل هذه القرون ؟ !

زجلية للبنان

قالوا سقط نيزك

عالأرز في لبنان

وتمزّعوا الاخوان

وتوزّعوا في عتمة التاريخ

عامركب شراعو من النيران .

قالوا انهدم عزّكْ

وقالوا سقط من قلبك الانسان .

لبنان يا لبنان

يا مَطْهَر الأحزان

مهما عليك تكالبوا الزعران

يوضاس واللي حطّبوا أرزَكْ

تا يبسطوا سليمان

وتا ينَجّروا صلبان

للربّ والانسان .

لا بدّ ما هالعاصفه تهزّكْ

لا بدّ يا لبنان

وبعد الردى والردمْ

وبعد العدى والدمْ

بعد الشجن والشر

لا بدّ ما يخضرّ

قلبكْ

مثل زيتونا وأرزكْ

ونرجع أمير الحب والموّالْ

في فيّة العرزال

ولا بدّ يا لبنان

ما ينتصر في قلبك الانسان !

براعم الفحم

وكالات الأنباء
بلغات العالم كله
تنعي قلبي المتفحّم تماماً
بلغات العالم كلها .
رغم ذلك
هناك براعم جديدة
تمدّ ألسنتها للهيب
وتختار ـ ضد وكالات الأنباء ـ
اتجاهاً مستقيماً نحو الشمس .

رغم ذلك

فالمواليد الجدد

أكثر من القتلى !

(أية تعزية شريرة !)

ورغم ذلك

تنطلق الأغنية

فوق ميادين القتال :

آه . ما أجمل البرعم الأحمر

على القلب المتفحِّم تماماً !

تلة الغدر

في المنزل الصغير الواطىء

على تلة الغدر

مائدة من خشب السنديان

ثمة مصباح على المائدة

قرب المصباح ، كتاب تقلّب صفحاته الريح

الريح نفسها التي تؤرجح الشبابيك

في الليل

حيث القمر بوجهه الفاتن المُرعب

في الليل الأشقر
حيث الرعب بقمره
وأغصان سنديانه المائسة .
خطوات مفعمة بالشكوك
تقترب
ثم تنأى بهلع
وتغوص في الخواء
وتغوص في الخواء
مثل طعنة ..

الوطواط والجنود

لكهوف الجبل منطقها وتقاليدها
يذهب الرعاة مع الشمس
ومع الليل
يأتي الأنصار .
بلا ميعاد ،
تخفُّ من الوادي دوريات اللصوص القتلة .
يُفكِّر وطواط الكهف بوقار
يُجري مقارنة عاجلة

بين مشاغله وبين الضابط وجنوده

وبسخرية هائلة

يتعلّق بالسقف

منقلباً على ظهره

من الضحك !

شأن صغير

في الردهة مكان لجثة أخرى
أما القلب فممكتظ حتى الغثيان
على أية حال
فأنتَ وحدك صاحب القرار .
أيها الفتى الأمرد
لديك مُتّسعٌ من الموت
فرق الاعدام المتعددة الجنسيات
تنتظر جبينك الإلهيّ

وعينيك الحزينتين

المفعمتين بزهور القيظ .

أيها الفتى الجميل كبركان

الساحر كإعصار

كم ظلموا فمك المُشتعل

كم أخّروا ميعاد القُبل

حين ابتكروا انشغالك الفاجع

بهذا الشأن الصغير :

الحياة أو الموت !

الهدف الأخير !

في المستشفى
المقصوف جواً قبل لحظات
ممرِّضة تُسعف ممرِّضة
قطٌّ أغبر يموء بهلع
وجثةٌ تحمي جثةً .
ثمة مزهريّة مقلوبة
سالمة تماماً
كالطائرة العائدة إلى قواعدها .

الزهور بخير

والفتى المحروق بالنابالم

يلعق ماء المزهرية الآسن

المندلق مع الدم

على بلاط المستشفى المقصوف جواً .

قبل لحظات .

الصليب الأحمر

الهلال الأحمر

نجمة داود

(بالأزرق والأبيض طبعاً !)

تنقضّ مع الطائرة المغيرة من جديد

باتجاه الهدف الأخير

الطفلة الشريرة التي نجت

من الغارة السابقة

قبل لحظات ..

من جديد

على اليد المبتوره
تولد من جديد
حقيقةٌ .. أسطورة .
وفي هشيم الرأسْ
تولد من جديد
زهرة عين الشمس
وفي عظام الساق
تبدأ من جديد
مسيرة المشتاق ..

وصية عاصم الخطيب

مُرغَمٌ ، في آخر الأمر ،
على أن أستعيد الشجره
بادئاً بالبذرة الأولى
وبالدمع وبالطَّلع
ومن ثمَّ تجيء الثمره
مؤمناً بين فلول الكَفَره !
هكذا اخترتُ
ـ وهل خُيِّرتُ ؟ ـ

لا أندبُ حظّي ،

هكذا اختار الرجال الأوفياء البرره .

ربما تدرون

أني آسف من أجل أمي وأبي

من أجل أختي وأخي

من أجل أصحابي وجيراني وبيتي

ربما تدرون

أني لم أقايض بالشذى والشمس والأوقات، وقتي

ربما تدرون اني لم أخفْ ميعاد موتي

يا أحبائيَ

لكنّي أناديكم من الموتِ

وأوصيكم بصوتي ..

يا أحبائيَ

أوصيكم بأزهار دمي

في سفحِ وادِ

من بلادي

آخ من شوكك يا زهر بلادي !

مرغمَ

في أول الأمرِ

على أن أستعيد الثمره

بادئاً بالشجره

مؤمناً بين فلول الكَفَرَه !

قصيدة عنقودية

عاليه أم جزّين

أم انها بعقلين

أم تؤثر الدامور

أم انها بيروت

يا أيها العصفور

أين ترى تموت ؟

*

تكبرُ في الأنواء

وردةٌ موتي

أجملُ الأشياء

وجمرتي تؤجّ تحت الماء !

*

جريمةٌ زرقاء

تمخر عرض البحرْ

جريمةٌ بيضاء

تدبّ ملءَ البرّْ

جريمةٌ .. ما اللون ؟

تهطل ملءَ الجوْ

(ولو زرعنا اللوْ)

دمي وشاحُ الكون !

*

جمجمتي تسهر طول الليلْ

والحيّةُ الرقطاء

تسهر طول الليلْ

والويل، كل الويلْ

من غضب الأموات والأحياء !

*

أرجوحةً في الغيمْ
الموتُ في الارباضْ
وطفلةٌ غارقة في الدّمْ
تريد أرجوحتها
وترفض الأنقاض !

*

مَن الذي يقرع باب البيتْ
في مثل هذا الوقتْ ؟

ما العمل ؟

قتلوه ودفنوا الجثة ليلاً
لا غسلوها
لا صلّى احد (حتى باللغة الأخرى !)
. . . . . .
كان بودي أن أنبش قبر المغدور
لأغسل جثته (ضيّعت صلاتي !)
لأؤبنه في حضرة جمهور ما
لكن ما العملُ ؟

أجهل أين القبر
وأجهل ان كان هنالك قبر
أجهل ان كانت جثة
لكني أعلم ان المغدور
تسلَّق في الليل شبابيك الله
ووافاه الأجلُ

. . . . . .

كان بودي ان أنبش قبراً
لكن ما العملُ
هل أنبش قبري ؟

عجباً !

يأخذكِ الحلم وتتكئين على جبلٍ
ينهار الحُلم وينهار الجبلُ
تتكىء عليك الكرة الأرضيّة
عجباً
لا أنّةَ تعبٍ
لا دمعة حزنٍ
عجباً
يتفجّر قلبكِ بالسخط العارم

وتدوّي صرخَةُ موتك في كل الدنيا

ويظل الجمهور الراقص

مشغولاً بالنغم الحالمْ

عجباً

يأخذك الحلم الى آخر اطراف الدنيا

ينهار الحلم ويبقى وجهكِ

قمراً مجهولاً يقترب اليّ ويوغل فيّا ..

خطبة الموت

١ ـ

يا أهل البيت تعالوا بالغبطة والورد

وتعالوا يا أهل البيت

غطّوا جسم الطفل القادم بالملح وبالزيت

٢ ـ

هوذا يمشي خطوته الأولى

رشّوا قدميه بماء الريحان

- ٣

ذهب الولد الشاطر للمدرسةِ

فقوموا ننثر قطع الحلوى لرفاقه

- ٤

نجح الطالب في الكليةِ

رشّوا وجه الأم المغشيّ عليها بالماء

- ٥

زغردت النسوةُ

فلننثر حفنة رز

فوق رؤوس العرسان

- ٦

لم تنضج فاكهة الوعدْ

لم تنضج بعدْ

ثمة كُتب لم يقرأها

موسيقى لم يسمعها

أعمال لم ينجزها

ثمة أطفال في صلب أمير العربِ

وأحلام في صلب الغد

لكن الرشاش الرشاش الرشاش ،

نبيّ الزمن المرتد

يلقي خطبتهُ

وتصفق غيلان الموت !

(آب ١٩٨٠)

الوردتان

قطفتُ من بستان مَن أحبُّ وردتين

واحدة أهديتها للموت

وأختها دفنتها تحت بلاط البيت

ليليَ يا ليليَ يا يا عين

زرعت في بستان مَن أحب وردتين ..

نيام

يكتمل الظلام بالظلام

يَصرّ باب غامضٌ

يدلف منه شبح عملاق

ترجف في الحديقة الأوراق

أبصره يهبط سراً درج الرخام

يختصر الآفاق

وكلكم.. نيام !

الإنبعاث

لا تحزنوا ، فقيركم غنيّ
لا تقنتوا .. ميّتكم حيّ.. وألفُ حيّ
عودوا إلى بيوتكم
وانسلوا نساءكم
واهملوا أكفانكم
ستبعثون، تبعثون فيّ ..

تنزيه

هتفتُ باسمكِ .. رد الرغد والجاهُ
وشرّع الظنُّ ما اخفت خفاياهُ
أشركتُ.. أشهرها.. أشركت من دنفٍ
وصرت ، آهيَ لا ما تُعرَف الآهُ
لا ، لا أحبكِ ، جل القلب عن زللٍ
قلبٌ تقمصه ابليس واللهُ !

وليمة المساء

كأسي التي جرعتها في الفجر
طارت على حبابها الأسطوره
وشاب فيها الدهر .
كأسي التي جرعتها في قمة الظهيره
كانت هي الأخيره
وكأس مَن اعشق في السراء والضراء
تجرعني حين يعدّ قاتلي
وليمة المساء ..

المغيب الأبدي

بعد صلاة الغائب أصبحَ عبثاً

خانته عقيلته مع أول رجل عزّاها

ملَّ الأبناء سلالته . فاختاروا نسباً آخر

في اليوم السابع لم يذكره الخلّان على كأس

في اليوم التاسع ،

غابت للأبد وغابت للأبد الشمس !

شجرة الجميز

في سفح « الجرمق »
قبل « الهوّة » بقليل جداً
تبكي للريح شجيرة جمّيز
هل يذكرها أحد ؟
هل أحد يذكرها ؟
هل يذكر أحد ؟

أعرف

يمتلىء القلب الذي نسيتَهُ بالحسره

يا سيدي ، وتستمر السكره

يا سيدي ، ولو سألت .. لو سألت مره

لبُحتُ .. كم ملاكاً

يمكن أن يحمل رأسُ الإبره !

نهار الشريان

حـين غنّ تقلصت أجفـانُـهْ

واستعـادت أشجانها أشجـانُـهْ

وبكتـه صبيّـة لا يـراهـا

ويـراها في صـوتـه خـلّانُـهْ

أيهـا الليل يـا مليك الضحـايا

لا تُكـابر فللفتى عنفـوانُـهْ

حُزَّ شريانه كما شئت واصخب

ألمـغـنّي : نهارُهُ شـريـانـه !

الأسير

لا تخرجي في الليل يا حبيبتي

لا تخرجي في الليل

أهلك بالمرصاد يا حبيبتي

والويل كل الويل

وخاطف البنات بالمرصاد يا حبيبتي

لا تخرجي في الليل

وقاتل الأطفال يا حبيبتي

والويل كل الويل
ما زلتُ في الأسرِ ، ويَا حبيبتي
أخشى عليكِ الليل
لا تخرجي وحدك يا حبيبتي
لا تخرجي في الليل !

لا جدوى

أشدُّ حول منكبيَّ معطفي

أخرج للعاصفة الليليه

يرفّ شالي في المدى

وأختفي

لن يُجديَ النقاش حول الكرة الأرضيه

لن يُجدي النقاش فليكن ،

ما يشتهيِ الردى !!

الكمال

جلالة الأعشاب والأشجارْ

كاملةٌ

والنارْ

كاملةٌ

وقصة الليل مع النهار

كاملةٌ

والناس والأقطار

والشمس والبحار

ولهفة الثوار للثورةِ

والثورة للثوارْ

كاملةً

وضحكة الصغار

كاملةً

ودمعة الكبارْ

كاملة يا سيدي كاملةً

هل ظل للمشتاق ما يختار ؟!

(١٩٨٠)

شارلي بيطون
لا يقود بني اسرائيل
في تيه سيناء

حين شكا موسى للطور أجاب الله من الجبِّ

المشتعلِ

وأنت

خاطبتَ جدار التّيه السينائيّ ،

فلم يسمع صوتك حتّى الفقراء

ولم يشهر سيفك إلاّ الضعفاء

يا شارلي بيطون

تنتظر الردَّ العاجلَ من ربِّ القوّات ؟

لن تسمع إلا صوت القوات المنقولة جواً أو براً أو بحرا

لن تسمع غير وصايا الأموات الى الأموات

لن تسمع يا شارلي بيطون

غير طبول الحرب المقروعة في نقع الغزوات

من تلّ أبيب إلى دهليز البنتاغون

قلتُ فصدّقتَ

وقلتَ فصدَّقتُ

وأهلُك من أهلي

يا شارلي

والمغربُ أقربُ من صهيون

وأنا أقربُ من أعمدة النار الأسطوريّه

فلنمضِ معاً

فلنمضِ

ولنشبكْ كلَّ خطوط الطولِ بكلِّ خُطوط العرضِ

ولتعصفْ ملءَ سماءِ الكرة الأرضيّه

راياتُ الرفضِ
ولتنسفْ أبراجَ الطاغوت الصوانيّه
صرخاتُ الجوع المتحلّق حول المائدة اليوميّه ..

الزيارة

قلتُ لنفسي: لا بأس نزور « صليبا » ..

نتغدّى ونثرثر في حال الدنيا والثورة والمرأة والدولة

والكادر والحرب النوويّة والشعرِ

ونقْلبُ معتدلاً ونعدّل مقلوبا

قلتُ لنفسي : نغلبه في « المحبوسةِ » أويغلبنا ،

نتأمّل واجهة المستشفى الطليانيَّ ونذكر دانتي أليجييري

ونحاول أن نستبطن ما ساور موسوليني من أفكارٍ

(تافهة حتماً !)

ونردد بيتاً من شعر القدّيس الماجن لورد بايرون ..
قلتُ لنفسي : ما دام البيتُ قريبا
والحزن قريبا
والموت قريبا
لا بأس ، نزور صليبا

. . . . .

المصعد .. هذا المخلوق الغامضُ لا يكشف أوراقه
وشوشني الفلّاح الكامن في ركن الروح
(يسميه علماء النفس « اللاوعي ») :
« حذارِ .. لعلّ المصعد معطوبٌ
لا تضغط هذا الزرّ الغامضَ
مَن يدري ؟ قد تتكهرب ! »
خفتُ ، سحبتُ القلم الأسود من جيبي وضغطت
الزرّ الغامض
فانزاح الباب ، وفاجأني في المصعد قطٌّ أسود
(قلمٌ أسود
قط أسود

يوم أسود ..)

قلتُ : « مساء الخير » ، فهرّ القطُّ بلؤمٍ ملحوظٍ

وانغلقَ البابُ الغامضُ وبدأنا الرحلة ..

الدور الأول فالثاني فالسادس فالثامن ..

صحتُ: «كفى، شقّة صاحبنا في الدور السابع ! »

لكنّ المصعد لم يصغِ ولم تُجدِ ضراعه

شقَّ السقفَ الاسمنتيَّ

وحلّق ، طارَ ، وصار المستشفى الطليانيّ كعلبةِ كبريت

صغرتْ حيفا وتضاءل حجم الكرملِ

والقطُّ يهرُّ بخبثٍ ملحوظٍ

طارَدَنا سربٌ من طيارات الفانتوم ، حيّاني الطيّارون بخبث ملحوظ

ومضوا بقنابلهم

ناديتُ بأعلى صوتي : « يا ناس اعتذروا عنّي لصليبا لن آتيَ

في الموعد لن نتغدى لن نلعب « محبوسه » ؟

وانطلق المصعد

والقط الأسود

والقلم الأسود

واليوم الأسود

شاهدْنا أقماراً وصواريخ وسفن فضاءٍ ،

وملائكةً يتعشون على شرفة جبرائيل ،

طلبنا النجدة لكن لم يحفلْ أحدٌ

والقطّ الأسود يتأمّل هلعي في حقدٍ ملحوظٍ

والمصعد يعلو ويدور ويعلو ويدورُ

تجاوزْنا سبع سماواتٍ

والمصعد يعلو ويدور يطير ويعلو ويدورُ

وفجأة

داهمنا شرطيّ مرورٍ يرفع راحته في غضبٍ ويصفّرُ

فتوقّفْنا عند الشرطيّ ، فسجّل ضدي ـ ابنُ الكلبِ ـ مخالفةً

وأصرَّ على أن أرجع من حيث أتيتْ

فضحكتُ على حالي وبكيتْ

وقفلتُ إلى المكتبِ مغموماً مغلوبا

يا ناس .. اعتذروا عني لصليبا !

خاتم الملك
والكونتيسة ماريا تريزا
الإيطالية

في سوق التحف الأثريّه

في أحد الأحياء الباريسيّه

لمحتْني وأنا أتأمل (عبر زجاج الفترينه)

خاتمَ ملكٍ مخلوع .

وخطتْ نحوي واثقةً ورصينه

لكني لم أبصر عينيها عبر النظارات الشمسيّة .

سألتْ بلغاتٍ شتّى : « مَن أنتْ ؟ »
فأجبتُ ، ولكن بالعربيّه :
« صعلوكٌ وأمير
قدّيسٌ شرّير
يغريني خاتم ملك مخلوع
وأحبُّ مداهمة الممنوع » .
قالت في أُبّهةٍ ملكيّة :
« أنذا الكونتيسّه ماريّا تريزا الإيطاليه ! »
فضممتُ القدمين برفقٍ ،
صعّرتُ الخدَّ قليلاً
أحنيتُ الرأس قليلاً
وهتفتُ بنُبلٍ وحميّه :
« يسعدني أن تدفع سيّدتي ثمن الخاتم
فأنا لا أملك من هذي الدنيا
إلا تذكرة السفر وسخطي القاتم ! »
دفعتْ ،
واصطحبتني للفندق ..

باص السادسة مساء
يتأخر عن موعده

في باص السادسة مساءً

يتكاثر زعران الأحياء النائيةِ الآتون إلى قلب المدن الليليّة

بحثاً عن فيلمٍ في دور العرض الزرقاء

بحثاً عن «نَفَسٍ » ،

في بيتٍ مهجورٍ ، في زاويةٍ تتجاهلها الشرطة ..

وعسى ولعلَّ ،

تصادفُهم سائحةٌ ضائعةٌ

سيِّدةٌ تحمل جزداناً فيه نقودٌ وأساور ..
في باص السادسة مساءً
سافرتُ من الشُغلِ إلى الموتِ
وسافرتُ منَ الموتِ إلى الشُغلِ
وكنتُ لئيماً من شدَّة تعبي
وحزيناً من قسوة غضبي ..
وبسببٍ
وبلا سببٍ
شاكَسَني ولدٌ يدعى ريكاردوس
- ويدلِّعهُ الأصحابُ « بقلب الأسدِ » - تملَّكني غيظٌ لا يوصف
صحتُ : « كفى يا ابن الكلبِ قليلَ الأدبِ
لعن الله أباك وأمك وجميع الأوباش المنزلقين إلى الكرة الأرضيَّةِ
من صُلب التيس الأول في اهلك !» .
فاستلَّ الأزعر ريكاردوس سكيناً من تحتِ حزامٍ جلديِّ ضخمٍ
وانقضَّ عليّ .

لم أتلُ الفاتحةَ ، ضربتُ الوغد بن الوغد بمسبحتي
فتلجلج وترنَّح وتطوَّح وأنهار على أرض الباصِ قتيلًا
هُرعت لمكان الحادث قوات الجيش الاسرائيلي وقوات الأمم المتحده
صحتُ : « دعوني يا ناس وشأني .. يكفيني جرح المعده » !
فتنهَّد دكتور ڤالدهايم ،
وتمتم في لغةٍ لا أفهمها ، شيئاً لا أفهمه ..

. . . . .

وتأخَّر عن موعدهِ باص السادسة مساءً !

الجندي المجهول

لم يعد من ساحة الحرب * سألنا كلّ مَن عاد من الجند *
سألنا صَحْبَهُ الجرحى * سألنا فرقة الأسرى * سألنا الجنرالْ
لم يجبنا أحدٌ منهم * سألنا ضابط الصَّف * سألنا كلّ مَن يمكن
أن يعرف أنباء القتال
ظلَّ أن نسأل عنهُ ،
جثث القتلى وعسفَ الموت مجّاناً وكثبان الرمال ..

تقاسيم على العود

في مساحات رنينك الكافية
ينسجم الياسمين والقندول
ويفقد الحنين أعصابه

*

بين يديك
لا تمتلىء كأس العرق ولا تفرغ
أمّا الأطفال

فيواصلون صياحهم على عشب الحديقة

*

عند مقام « الرصد » تبدأ أكوان أخرى

متفاوتة لكن متكاملة

*

أخفقْ واخفقْ مع نقرات الجواب

واحتفظ بأسرار سلطنتك

يا أمير الأحزان والأهداب الذابلة

*

في حضرتك

لا تفطن الأرملة إلى دموعها

لولا استحالة التفاهم

بين دندناتك والقصف الجوّي

*

يتباهى الخشب بغنّتك السحرية

ويصيح الذهب : ما أتعسني !

*

يعلو نبضك العميق

على صفير القطارات

وجلبة مطارات الغربة

فيشرب السمّار

نخب العودة بإذن الله

*

أيها الشيخ الجليل

لا تعبأ بالموضة

واقبل نصيحتي الأخوية :

لا تخلع طربوشك

لا تخذل « النوى » ..

قطفتني الوردة ، شربتني كأسي

أبليتُ قميص الصوف

لم أبصر وجه الله ولم أبصر وجهي

أتراني مهزوز الإيمان ؟

كيف أبرِّر موت غبار الطلع على باب البستان

كيف أبرِّر موتي التافه

مخبولاً في ليلِ سريري

تتكدَّس حولي أصناف الأدوية الشتّى

وتغيب عنْ العالم شمسي
ويُزَيَّفُ في كل جهات الأرض ضميري .
أعددتُ العُدَّه
لكن
يا حسرة عمري
قطفتني
قطفتني الورده !

. . . . .

ولدى المفترقِ تلفَّتُّ يميناً وشمالاً
لم أبصر أحداً
لكن الهولة كانت تتبعني
وأنا لا أبصرها .
لا بأس .
دسستُ يديَّ بجيبيْ بِنطالي ومضيت
اخترتُ الدربَ الأطولَ عن عمدٍ
تدرين حبيبة روحي
أنِّي لا أخفي شيئاً عنكِ .

استشعرتُ الخوف قليلاً .

قلت لنفسي : نتسلّ في هذا القفر الشاسع .

رحتُ أصفّر لحناً تلقائيا

لم ينقذني من خوفي

والهولةُ خلفي .

بعد رحيلي القاتل من حزنٍ ناصع

في حزنٍ ناصع

بعد السغبِ وبعد اللغبِ وبعد التعبِ

قذفتُ إلى الهولة رأسي

لا أخفي عنك حبيبة عمري

لم أبلغ أسوار القدسِ

شربتني كأسي

يا حسرة عمري

شربتني كأسي !

مزامير لم ينشدها داڤيد

بُقعةُ وسخٍ على فراء الكريّة الأرضيّه
هكذا قُيِّضَ لي أن أكون .
زوجُ الكريّة الأرضيَّة جنتلمان حقيقي
عبّاً قبعته السلندر بنفط الجزيرة العربيَّه
أخذ قُطن الصعيد بمنتهى الرشاقة
ومسحني عن فراء زوجته العزيزة
مسحني بدقَّة تكنولوجيَّة هائلةْ
بِبلاه ..

*

لا تلومي . صار الردى تقويمي

وبلادي جَبّانتي . لا تلومي

بين مهدي وبين لحدي جبالٌ

وسهولٌ مجبولةٌ بهمومي

هيه يا أرضُ ! لعنتي تتشظّى

ملء فجرٍ قاصٍ وليلٍ مقيمِ

وإلهي تمرٌ . وجوعي رهيبٌ

فاغفري لي التحليلَ بالتحريمِ !

سلاه ..

*

كان السادة السفراء يتناولون غداءهم في المطعم الفاخر

حوّمتُ حولهم

زمزمتُ

كشّوني عن أنوفهم الحمراء ، بأكفٍّ مُعَقّمه

فسقطتُ في صحن الحساء .

شكاني صاحب المطعم إلى الأمم المتحدة

وأدانني القضاة الماسونيون

سِلاه ..

*

أسرق الغناريس (*) من حظائرها

وأبيعها للصوص والفلاحين

كل ذلك من أجل أن أكسب خبزي .

أزرع التنفات (*) وأقطف ثمارها

كل ذلك من أجل أن يشبع أولادي .

مرة أخرى أحفر أسمائي على الصخور والجذوع

وتصغي أسماك القرش باهتمام شديد

حين أغنّي في بار الموتى

سِلاه ..

*

مالَ الشجر العالي / مالَ مع العاصفة الهائجة / اْرتعش العشبُ قليلًا / القاماتُ الوسطى لم تفهم شيئاً في بدءِ الأمر / خيرٌ هذا الطقس المتأزّم أم شرّ ؟ / حاولْ أن تدخُلَ / دونكَ سبعةُ أبوابٍ تفضي للسرّ ! /

إنهض واْدعُ الجيرانَ / القهوة جاهزةٌ والفلّةُ تنطف عبقاً دموياً

في مجزرةِ الفَجر /
لا بأس إذا ارتاحت دبابتُك قليلًا / لا بأس
إذا هدأتْ (*) طيارتك قليلًا / لا بأس
إذا حيَّيتَ الكرة الأرضيَّة « ألف صباح الخير ! »
أتحاولُ أن تنسى ؟ / أتحاول أن تتأسّى ؟ /تتساءلُ مَن أنتَ
لتحمل هذا العبء الباهظ وحدك ؟ /
أتُحاجِج أنَّ العالم قبلك والعالم بعدك ؟ /
أدليلكَ في محكمة العدل الدولية / أن سلالك المحمولة
بالطول وبالعرضْ / تكفي طوباراً كي تبني أرضاً أخرى
خارج هذي الأرضْ ؟ أتحاول أن تشرح للوردة أسرار
العطر ؟
أتحاول إفراغ الدهر الكامل في شهر ؟ / تتساءل
مَن أنت لتحمل
هذا العبء الباهظ وحدك ؟ /
هل تصرخُ ان العالم قبلك والعالم بعدك ؟ /
سِلاه ..

*

لا انتظر المعلومات من وكالة رويتر أو عيتيم
فأنا أعرف وعدسات التلفزيون تعرف وأقلام الصحفيين
كم سأكون جميلاً
حين أستلقي على ضفَّة الاردن
جُثَّةً هامدة ..

سِلاه ..
* ما زلتُ مديناً للموتى
أمّا الأحياء فقد سدَّدْتُ ديوني لهم
مع أكبر فائدة لأجشع المُرابين .
وكل ذنبي يا سيدي القاضي
تأكيدي أمام العالم
ان حرب فيتنام ما زالت على أشُدِّها
وأعترفُ ـ إذا كان في الأمر فائدة ـ
بأنني أنبش القبور وأتجوَّل بالجثث في كازينوهات الدنيا
وأعترفُ بأن صوتي الأجشّ لا يصلح للغناء
غير انني لا أتقاضى أجراً عن مراثي ..
هناك حقيقة أخرى لا أستطيع إنكارها :

في الشهر الفائت قضمتُ القمر بأسناني
لذلك صار هلالاً .
كنتُ جائعاً يا سيدي القاضي محاصراً بالحرائق
شعوب كثيرة مدَّت إليَّ أيديها بالأرغفة الطازجة
غير ان النيران المسعورة حدَّدت نطاق حركتي وألهبت جوعي
البشع .
لم تكن أمامي سوى طاقة السماء
وكان هناك القمر .
أعترف يا سيدي القاضي بأنني شهرتُ يديَّ بلا رحمة
قبضتُ على القمر من طرفيه
وقضمتهُ بأسناني النابحة
ثم نبشتُ قبراً طريّاً
حملتُ الجثة الدافئة الى موانيء العالم ومطاراته
غير ان الانتربول ألقى القبض عليَّ
ولا ألوم الانتربول ، فلا جواز سفر لديَّ
وها أنذا ماثلٌ أمامك يا سيدي القاضي
بِلاه ..

هــل كــراجٌ مبــدِلٌ عيــنيــكَ

يـا تـرابــاً تعـودُ منــكَ إليـكَ ؟

سيلوفـانٌ . هذي الـوجـوه . جميـلٌ

غـير أن الـرؤوس تنــطفُ إفكـا

أتصـلّي ؟.. أوكي .. أتـوغـل علماً ؟

إيه لا بأس ـ أنت توغل شكّا !

هـذه الأرض . يا تـرابي . دهـانٌ

والسماء التي ترى .. فورمايكا !!

سِلاه ..

إلى أن يصدر الحكم

لو أن أحداً روى لي هذه الحكاية لما صدَّقت
لكن كيف أُكذِّبُ عينيَّ الملطختين بالدم ويديَّ ؟
عشتُ على تلك الجزيرة ثلاثين شتاءً وربيعا
عشتُ فضيحة النهارات وستر الليالي
عشتُ الأشجار الصخور الرائحة المالحة الحرائق
عرفتُ صيّاد السمك عن كثب
عرفتُ زوجته التعيسة وشبكته الفظيعة .
يعتبره بعضكم سفّاحاً رهيباً

يعتبره آخرون ضحيَّة بريئة
أمّا أنا فلا أستطيع أن أكون قاضياً
إنني كما تعلمون بحاجة إلى مَن يحكم عليَّ .
لا أنكر انني قتلتُ صيَّاد السمك المذكور أعلاه
لكنني لا أعلم إذا كنتُ أنا الآخر
مُجرماً أو ضحيَّة .
حدث ما حدث . في طقس أحمق
يتوقف المطر فجأةً
ترتفع الحرارة من ٣ تحت الصفر حتى ٤٥ فوق الصفر
فجأةً ترتجف البارومترات في هلعٍ ظاهر
مصحوبة بالبروق والرعود
فجأةً يضجُّ نور النهار
تهبط العتمة الصلبة والكوابيس .
كان صيَّاد السمك رجلًا عادياً
يُشبه سكان حوض البحر الأبيض المتوسط
يلتقي في ملامحه الأوروبيون بالآسيويين بالأفارقة
أمّا زوجته فكانت مخلوقاً غريباً كما تعلمون .

كانت عاليةً مثل صار خرافي
رأسها مخروط هائل أملس
تغطّي ساقيها الثخينتين فروة شوكية
فمها في سرَّتها
ويخفق فوقه نهد كبير وحيد
أمّا عيونها الكثيرة فتحيط بكتفيها مثل خط الاستواء .
لم يكن صيَّادنا قانعاً بزوجته
ولم يجد العزاء في السمكة الذهبيَّة .
قلتُ له مرَّة : « لماذا تزوجتها » ؟
قال : « كان لا بدَّ لي من زوجة ولم تكن على الجزيرة امرأة
غيرها !
وبعد إذ تزوجتها تدفَّق المستوطنون على الجزيرة
وازدحمت شواطئها الناعمة الدافئة بالنساء الجميلات » .
* طالما غالب صيَّاد السمك التعيس غيظه المسعور كحيَّة
الظهيرة
طالما تقلَّب على الرمال الهشَّة في غمرة الطقس المجنون
طالما هرب إلى أعالي البحر ليُغرق هواجسه

لكنه عاد دائماً بالصدف الخالي والنزيف .
ليلةَ البلّور الأسود
هبط صيّادنا تحت أثقال لواعجه
خطف من قاعِ قاربه بلطةً مشحوذةً حتى ليستطيع المرء أن
يحلق بها لحيته
خَفش في الرمل الرّهو نحو كوخه المتطامن تحت الريح
والظلام
تطلّع عبر النافذة الوحيدة
شاهد زوجته المتمدّدة على المصطبة المفروشة بالقش والحَسك
دفع الباب بحذر شديد
وقف فوق رأس زوجته النائمة
حدّق فيها بهلع
وقبل ان يتراجع أمام زحمة الشكوك والهواجس
قبل أن يُرخي التردد عضلات ذراعيه البائستين كفرعي
شجرةٍ عاقر
رفع البلطة إلى أقصى مَبلَغٍ فوق رأسه
وأهوى على عنق الزوجة الوادعة .

انفصل الرأس عن الجسد دون نأمة
اجتاحت الصيَّاد الملعون حمّى وحشيَّة
وأقبل على الجثة يقطعها أشلاء وهو يهذي :
« لا . لا . لن أحمل وحدي كل هذا العذاب بعد اليوم
لن تتقطَّع شراييني على نصال الدهشة الدائمة
لن تكون بشاعة الزمن والمسافة قسمتي وحدي !! »
لملم الصيَّاد المنكوب أشلاء زوجته الشهيدة ،
دسَّها في كيسٍ ضخمٍ . وحملها الى البحر
كانت العاصفة تلفُّ أمواج البحر الهائج
كشيخٍ يلفُّ سيجارة
وقف صيَّاد السمك على الشاطىء الزَّنِخ
وفي الماء الداكن المحتقن بالأسرار
أفرغ كيسه الرهيب (في المقلاة الهائلة التي نسمّيها أيضاً
« البحر »)
هُرعت أسراب الأسماك الجائعة
وراحت تقضم الأشلاء بأسنانها النهمة المدبَّبة كمسامير نعش .
قذف الصيَّاد بشبكته الوحشية

وأطبق على كومةٍ من السمك المذعور
في الصّباح أكل سكّان الجزيرة أسماك الصيّاد
وسرعان ما امّسَخوا مثل زوجته
أمّا أنا أيها السيدات والسادة
فكنتُ أراقب كل ما يجري
من فوق صخرةٍ هائلة ..
كان عليَّ أن أفعل شيئاً لإنقاذ مَن تبقّى من آدميين على الأرض
بيد أنني كنتُ عاجزاً عن الهبوط من على صخرتي العملاقة
أمرتُ البحر : « أيها البحر ، ارسلْ إليَّ ثلةً من أمواجك ! »
أقبلتْ ثلة الأمواج وراحت تلطم صخرة الملح من كل جانب
وئيداً وئيداً ذابت صخرة الملح فاستويتُ واقفاً على أرض الجزيرة
خَفَفتُ إلى قارب الصيّاد
أخذتُ بلطته الرهيبة
أهويت بها على عنقه
وانفصل الرأس عن الجسد دون نأمه .

ونجا مَن بقي على الأرض من آدميين سَويِّين .

*

لو أن أحداً روى لي هذه الحكاية لما صدَّقت
لكن كيف أكذِّب عينيَّ الملطختين بالدم ويديَّ ؟
تكلَّم أيها البحر !
وانطقي أيتها الجزيرة !

(*) الغناريس ـ جمع غنريس، وهو حيوان لم يوجد بعد .
(*) التّنفات ـ جمع تنفة، وهي شجرة لم توجد بعد.
(*) في رواية أخرى وردت كلمة «صدئت» مكان «هدأت» .. والله أعلم .

(١٩٧٨)

بروكسل ١٩٨١/٦/١

(إلى برناديت خضر)

وبين الصحو في الغثيانْ

والغثيان في السكرِ

أشمُّ دمكْ

وبين عواصف النسيان

وبين إرادة الجمرِ

أشمُّ دمكْ

وفي سرّي

أشمُّ دمكْ

وفي جهري

أشمُّ دمكْ

برائحة التراب الداكن المقرور

وعشب الثلج والشجر المكفّن في شحوب النور

أشمُّ دمكْ

وأبصر وجهك المغدور

على شباك باص الريح والغربه

وفي أرشيف بوليس الدم المهدور

وفي فترينة البلّور

وأسمع نبضك المسكون بالأطفال والأزهار والنكبه

على إيقاع ساعة منزلٍ مهجور

وفي خفق القطارات المسائية

وأسمع نبضك المنذور

على إيقاع ضخّ النفط من شريان والدتي

إلى المدن الصناعية

وألمح ظهرك المسكور

في صخب المطارات المحطات اللقاءات الفجائية

وألمح ظهرك المكسور
بين السادة السفراء
بين النار مشطوراً وبين الماء
أنت نعيم ..
نعيم الودِّ بين الأهل والغرباء
نعيم السذَّج الفقراء
وأنت جحيم
جحيم الحقد والعدوان والبغضاء
جحيم الاخوة الأعداء
وحين تطلّ من قبرك
لتسمع آخر الأنباء
يُطلُّ بوجهه قابيل
وحين يلوح في شرفات عرش العاهل القرديّ
وفي شرفات قصر «قيادة الثورة»
وحين يلوح في واشنطن الحرّة
بداديق الأكاذيب البدائيه
يصيح دمكّ :

أنا هابيل

أنا هابيل

ويوقد نارَه أَلُمك !

ويذوي القلب

تذوي وردة الدم الهلامية

ويذوي وجه برناديت

يذوي الفل والمنثور

على قرميد أوروبا الضبابية

ويذوي النخل والخابور

في بيد الأعاريب الجحيمية !

سأكرز باسمك النبويّ

من شرقٍ إلى غربِ

وأُشهدُ نطفة الحُبِّ

وأشهدُ جوهر الأشياء والإنسان

كيفَ وُلدت في أفياءِ ليمونِكْ

وكيف قُتلتَ في الإنسان

وكيف ثأرتَ للإنسان

يوم بُعثتَ في أقمار زيتونِكْ ..
سأكرز باسمك النبويّ
من شرقٍ إلى غربِ
وأشهدُ دهشة الأطفالِ
كيف دخانُ غليونِكْ
تجمَّد في المدى الرحبِ
ليرسم طفلةً عمياء
وزنبقة الردى السوداء
على خلفيَّة حمراء
كيف دخانُ غليونِكْ
تجمَّد في فضاء العالم الرحبِ
ليرسم بالدمِ العذبِ
تضاريس الغد المنهوب من عيني فلسطينِكْ ..
أشمُّ دمكْ
وأبصر في المدى عَلَمكْ
يرفّ على فراغاتٍ خرافيه
ويوقظ من سبات الموت روح الفل والمنثور

ويبذر حنطة الميلاد

في أرض الضمير البور في أرض الضمير البور في أرض
الضمير البور ..

نامير ـ بلجيكا
(١٩٨٢/١/٣١)

إعتذار للأصدقاء عن خطيئة الإطلالة في الحياة !

(م)

مرحباً !

لا تتركوا أكؤسَكُم

تابعوا حفلتكم يا أصدقائي

هل أَقضَّتْ عودتي مجلسكُم ؟

لا تلوموني ،

أعادتْني .. دمائي !

*

(ك)

كيف أنتُم ؟

كيف حال العائله ؟

والشبابيك

وأزهار الحديقه .

واْغفروا لي ،

أخطأتْني العائله

وتناستني ، ابنةُ الكلب ، الحريقه !

*

(ل)

لم أمُتْ يا أصدقائي ،

فاعذروني

صُدفةً أنِّيَ حيٌّ ،

محضُ صُدفه

وأنا أعلمُ يا ضوءَ عيوني

أنَّ موتي ، عندكم ،

شوقٌ ولهفه .

(ق)

قيلَ أولاديَ في بيروت راحوا

هل حزِنتم ؟

سامحوني ، ليسَ قصدي

أنتُمُ

الجودُ الندى الصفحُ السَّماحُ

وفداكمُ

كلٌّ ما قبلي وبعدي ..

*

(ل - مرة أخرى)

لم أمتْ يا أصدقائي ، فاعذروني

قتلوني

إنما .. لم أُقتَلِ

أخْبَطَ الحاضرُ موتي

أمْهلوني :

ربما أنجحُ في المستقبَلِ !!

الراية والقصيدة

(إلى س. سلمان)

يأتي الفتى بقطعة القماش
يَغْمِسُ كفَّيه الثقيلتينْ
في دمِّ معبودته الشهيدهْ
يميلُ كلُّ جذعِهِ ليضغط الكفَّينْ
على رفيف الورد والفَراش
في قطعة القماش .
يهتفُ والدمعُ على الخدَّيْن :

« يا فرحي بالراية الجديدة ! »
وحين يستلقي على الفِراش
ليقرأ الجريده
يموتُ
. . . . . .
لا بأسَ ،
سيبقى مطلعُ القصيدة !

الأطفال .. وأطفالي

يولدُ الأطفال

تستقبلُهم على أسرَّة الولادة

أسماؤهم المنتقاة

من شجرة الأجداد المحترمين .

تستقبلهم برامجُ التوفير

النظرة البعيدة إلى المستقبَل

ورائحة القرفة المغليَّة

على نار الشوق ..
تستقبلهم أعياد الميلاد
والأعياد
والملابس الجديدة ..

*

يولدُ أطفالي
تستقبلهم دموع الحب
ورعدة الخوف .
على باب مستشفى الولادة
تنتظرهم
عيون الكلاب المسعورة
تنتظرهم
هراوات الشرطة
تنتظرهم
برامج التصفية الجسديّة
والنظرة البعيدة إلى الموت .
يولدُ أطفالي

تولد معهم قنابلهم الفوسفوريّة

بأضوائها المدهشة

مثل الألعاب الناريّة

في الكرنفال .

يولد أطفالي

مع نعوشهم الصغيرة ..

دمعة في الغربة

هل ثمَّة نادٍ ليليّ
يقبلُ أشعاري ؟
أوزاني تصلحُ للرقص الشرقيّ
للَّحم العاري !

. . . . . .

يا ضيعة وجهي المنفيّ
عاري
يا عاري !

قيامة

تموجُ الستائر في الريح
يرتعشُ الليلُ
بالصرخةِ الفاجعهْ
وفي شبهِ نومٍ
وفي شبهِ موتٍ
على ضوءِ ثلاجةٍ
شبهِ مفتوحةٍ

تعبرُ القطّةُ الجائعهْ

أشدُّ اللحافَ على ثلجِ أنفي

وفي صمت خوفي

يحفُّ القماشُ المُنشّى

برقّةِ رمشي

وفي شبهِ نومٍ

وفي شبهِ موتِ

على ضوءِ قنبلةٍ دونَ صوتِ

يقومُ قتيلٌ

ويمشي ..

ضحايا حرب

عصفورةٌ مقطوعة الجناحْ

ضاقت بها الرياحْ

وسقطتْ في أحد المواقع

. . . .

أيتها المدافعْ

أيتها المدافعْ !

*

سنبلةٌ وورده

على حدود الغابه

أين طريق العوده ؟

أيتها الدبّابه !!

سحابةٌ بيضاء

سحابةٌ حمراء

طائرةٌ

تحزُّ كالسكّين

في خيمةِ السماء

*

مَن علَّم القنّاصه

أن يثقبوا الكتابْ

مَن علَّم القنّاصه

أن يثقبوا رسائل الأحباب

وصُوَرَ الأحباب

مَن علَّم القنّاصه

أيتها الرصاصه ؟!

إنتقام الموتى

أأوقظُ زوجتيَ المُرهَقَه ؟
سيفزعُ أطفاليَ الميتون على العشبِ
لا !
إنه موقفٌ مُحرجٌ
يُقبلونَ بلا موعدٍ
يدخلون البيوت بلا دعوةٍ
ميّتاً ميّتاً يُقبلون

يضيئون كل المصابيح

في جلبةٍ

يقذفون بأكفافهم في الزوايا

يطوفون بين المقاعدِ

حول الأسرَّةِ

زُرقاً عُراةً

ويمضون عبر المرايا

. . . .

وأصرخُ سخطاً :

كفى !

إنكم تعبرون حدودي

كفى !

إنكم تنكثون عهودي

كفى !

أيها الميِّتون

دعوني وشأني

دعوني لحزني

دعوني لصمتي

وعاري وموتي ..

ألمْ تبصروا الكأسَ فارغةً ؟

يا رفاقُ اتركوني

تجرَّعتُ ، للقاع ، كأس الجنونِ

اتركوني ..

للموت رقصته

لنقرةِ دُربكّةٍ
تتهدَّجُ في ليلةٍ مُقمره
أطوف بزوجتيَ المرهَقه
بأطفاليَ النائمين على حدِّ مملكةِ الموتِ
أخلعُ نعليَّ في العتمةِ المُطبقه
وأدهنُ خدّيَّ بالزيتِ والكلسِ
يأتي من الصمتِ صوتٌ كليلٌ :

« إليَّ ! إليَّ! »

ونقرةُ دربكّةٍ

تتهدَّجُ في الليلة المقمره .

. . . . . .

« سآتيكَ يا سيِّد الجسم والروح

آتيكَ بالملحِ والخبزِ والمغفره ! »

. . . . . .

أقبِّلُ أعناقَ أهلي النيام على ورد حزني

وأنسلُّ منهم ومني

وأمضي نقيّاً جميلاً

لأرقص للموت رقصتَه المشتهاة

على مسرح المقبره ..

وأرقصُ للموتِ

أرقصُ للموتِ

أرقصُ للمو .....

بابل

إلهٌ ببيجامةٍ
ونبيٌّ بدون دُعاةْ
وشعب الضمائر في عطلةٍ دون أجرٍ
ويرشو القضاةُ القضاةْ ،
ويا لغتي نسيتك اللغات !

ميعاد

جبين وتسع شظايا

وعينان كهفانِ

منذا يراني سوايا

وداعاً حبيبة روحي

وداعا

سألقاكِ يوماً

سألقاكِ بين حطام المرايا ...

إضراب عن الطعام

على شرف الموت هذي الولائمْ
ويا سيِّد الخبز نحن جياعُ
ومرٌّ طعام المآتمْ
ويا سيِّد الخبز نحن جياعُ
وقوتُ المذلَّة ظالمْ ...

أغنية القناص

أحبّكِ

خفقة نهدٍ

أحبّكِ

لفتة جيدْ

أحبّكِ

حلماً بعيداً بعيدْ

أحبّكِ

للقنص عيدانِ

أنتِ

وهذا الزناد الجديدْ

أحبّكِ صلية نارِ

وزغرودةً للدمارِ

أحبّكِ !

أحلى وأقوى

تطلّين في البُعد نجوى

وفي الكفر تقوى

تطلّين أغنية القُبّره

على شظف العيش في الجنّة المقفره

وبعد الردى والمراثي

تطلّين من شُرفات انبعاثي

تطلّين أحلى وأقوى ...

أغنية العقاب

عرفتُ الجُناة جميعاً
عرفتُ جميع الجُناة
عرفتهُم واحداً واحدا
في جميع الجهات
وكلّ اللغات
وسوف أطاردهم في الحياة
وسوف أعاقبهم في الممات
ولن يفلتوا
قلت لن يفلتوا
إنّهم ههنا
بين كفّي وقلبي ...

أملاك الجنرال

(إلى أريك شارون)

على مائدة الجنرال مزهريَّة
في المزهريَّة خمس وردات
على دبَّابة الجنرال خمس فوهات
تحت الدبَّابة طفل في الخامسة
ووردة .
على كتف الجنرال خمس نجمات وطفل
في مزهريّته خمسة أطفال ووردة
تحت دبَّابته
خمس وردات وخمسة أطفال ،
للدبَّابة فوهات لا تُحصى ...

إلى س.

كُنتَ وتبقى
نخلةَ بيداءْ
من أقصى الألف إلى أقصى الياء
تسعد أو تشقى
لكنَّك تبقى ...
نخلة بيداء بيداء
. . . . . .
بين أصابع قدميك يهيمُ الشُعراء ...

رسالة أخيرة

يَدانِ على الرَّدمِ
وجهٌ يطلّ من الحلمِ
أشلاءُ قطٍّ غبيّ بريء
غلام يمرّ ببال القذائفْ
وينزفُ ينزفُ
بردانَ خائفْ

وأمٌّ تموء

لقاذفة بجناحَيْ ملاك ....

وفي ساعة القصف كنّا هناك

ثلاثة أسرى

وتسعة قتلى

وسبعة جرحى

وفي ساعة القنص

كنّا هناك

ثلاثة جرحى

وتسعة أسرى

وسبعة قتلى

وفي ساعة الحلم

كنّا هناك

ثلاثة قتلى

وتسعة قتلى

وسبعة قتلى

وقاذفةً بجناحيْ ملاك ...

كيف ؟

أخاطبُ أرصفةَ المدن الميِّته
وأسألها كيف لا تغضبين ؟
وأوقف قافلة الهمج الزاحفين
لأسألها كيفَ لا تخجلين
بإعدام سيِّدة حاملٍ
لقتل الجنين ؟!

الغائب

لعنقودِ ليلى كؤوسٌ مُهيَّأةٌ
أين قيس ؟

ألقصيدة المضيئة

لا بُدَّ أن تمضي

ظلامك حالكٌ ؟

لا بأس،

مُدَّ يديك في حذرٍ

وحاول أن تصيخ القلب

حدِّقْ بالأصابع

وَلْتَكُنْ أذناكَ

في هذا الظلام عصاك

لا !

ما أنت بالأعمى

ستفهمني

ظلامك دامسٌ

وعليك أن تمضي

لديك رسالةٌ

والنورُ في عُلب العرائس أنت تفهمني

تَقدَّم !

بترتك طائرةٌ بريش جناحها

أبصرتُ لحمك طائراً

ترتجُّ في منقاره الدمويّ سنبلتان

واحدةٌ لطفلٍ جائعٍ

سقطتْ على أبويه جدران المخيَّم

وَلِشَعْرِ من أحببت سنبلةٌ

تَقدّمْ

نضجتْ سنابلك اليتيمة في جهنَّمْ

لا بدّ أن تمضي

سمعتك صارخاً من قاع موتك:

أقبلوا

أو فارحلوا

فرّجتُ كربتكم نهاراً

أقبلوا

أو فارحلوا

سرّيتُ عنكم في الليالي

ووهبتكم نصراً

وما حمّلتكم عبءَ القتالِ

يا أيها الموتى بلا موتٍ

تعبتُ من الحياة بلا حياةِ

وتعبتُ من صمتي

ومن صوتي

تعبتُ من الرواية والرواةِ

ومن الجناية والجناةِ

ومن المحاكم والقضاةِ

وسئمتُ تكليس القبورْ

وسنمت تبذير الجياع
على الأضاحي والنذورْ

لا بدّ أن تمضي
عذابُك سيّدٌ
ويداك جاريتان
في قصر الخليفةِ
أنت تدركُ
أنهم أخذوك ليلاً
كي يعودوا وحدهم ملء النهارِ
أتقولُ لي ؟
عفواً ،
كلامك رائعٌ
لكنّهم ماضون في القصف الاذاعيّ
انتبه !
لك أنت صاروخٌ حقيقيٌّ
وللأعداء صاروخِ الحوارِ

وتقول لي ؟

الإخوة الأعداءُ يفترسون حلمكَ

مرةً أخرى

وأنت تقول لي

عفواً.

سمعتك مرةً أخرى

كلامك رائعٌ

أنا لم أقاطعْك

انتبه !

في الشرفة البيضاء قناصٌ

يسدّد نحونا حَجراً من الأنقاض

أَسْنِدْني

دوار البرّ يجرفني

الى بحر الدوارِ

ويداي جاريتان

ميتتان تحت جنود قيصرْ

وتقول لي ؟

ألله أكبرْ !

من وحشة الوادي القديمِ

طلعتَ مغتبطاً

تزيّن صدغك الدامي قرنفلةٌ

وتسطع في جبينك نجمةٌ حمراءُ

كان جوادك المجنون

يصهل عارياً في السهلكان النرجس المغرور

مأخوذاً بسحرك

زغردتْ بنتٌ من الشرفات

أجفلت الشوارع

واحتمى القناص ثانيتين

لم أُبصرك

قيل سقطتَ تحت اللوزة الخضراء

قيل تخضَّبتْ عصفورةٌ خفقتْ بقربكَ

واحتمى القناص ثانيةً ،

وعادْ

لم أنسَ

قيل تداولتكَ رصاصتان

وقيل إن شظيّة

ثقبتْ على يدك الضمادْ ..

ڤيتو !

هنالك صيغةٌ غير التي تُروى

هنالك صورة من ساحة الاحداث

هُم قتلوا المصور

نحن نعرفهم

ونعرف لعبة الإعلام

ندرك ما يريدُ « العالم الحُرّ » ،

المكبّلُ بالأساطير الحقيرة

نفهم الأعداء من ألفٍ إلى ياءٍ

ونعلم أنهم قتلوا المصوّر ضاحكين

أصغِ قليلاً قلبَكَ المشحوذ بالطلقات

ضحكتهُم ترفرفُ

نورساً فوق الخليج

وناقلات النفط تضحكْ

دعني أُقبّل

ـ يا حبيب الله والانسان ـ

جُرحكْ

فيتو !

ولي صُبحٌ يغادرني

كما غادرتَ صُبحكْ ..

يومان

أسبوعان

شهرٌ طافحٌ

عامان

قرنٌ

هل تعبتَ ؟

تعال يا ولدي

أنا مهدتُ صدري

كي تريح عليه جُثتك الفتيّه

وتعال يا ولدي

لألقي رأسي المقطوع
بين يديك
قد أرتاح من موتي البطيء
على رصيف الأبجديّة
ألوردةُ الحمراء تقتلني
كما قتلتْك أنتَ البندقيّة !
ها هم هنالك
في خرائب جثتي يتجامعونْ
ها هم
تُفضّ بكارةٌ أخرى أمام عيونهم
تصطكّ في شبقٍ مفاصلهم
وتصهل مهرة الشهوات
تنفجر الأصابع والعيونْ
ها هم هنالك
جوعهم حنشٌ
وأيديهم أظافرْ
ها هم هنالك

في المواطن والمنافي والمهاجر
يبكون في أعراس موتاهم
تهزّ الأرض دبكتهم
وتكتسح المنابر
ولنا التمزّق والتفجّر والجنونْ ..

سأعود أمس
أعودِ أمس من السفر
ويعود للغيم المطر
وتعود أنت إليّ أمس
تعود محمولاً على الأكتاف نعشا
وتعود أغنيةً وسنبلةً وعرشا
وتعود عصفوراً يرمم في خراب الأرض عشّا
وتعود
قنديلاً على الطرقات
منديلاً على الشرفات
أعراساً

ولاداتٍ

أُسَرْ

ولك القضاءُ

ولي القدرْ

لا بدّ أن أمضي

ظلامي حالكٌ

لا بدّ أن تمضي

ظلامك حالكٌ

الشمسُ من غربٍ إلى شرقٍ

وروحي في الفضاء جذورها آنتشرت

وفي أعماق بئر النفط

أورق سرُّ موتي وازدهرْ

فاقطفْ ثمار الموت

يا ابن الموت

روحُك

في تراب الموت أنضجت الثمر

يا أيها البدويّ

أدركُ أننا روح موزعةٌ على جسدين

آدمُ حسرتي

حواءُ حزنُك

واحتراقُ يديك بين يديّ

أجناسُ البشرْ ..

يا أيها البدويّ

سوف نعود أمس

نعودُ ..

ما رضوان ؟

ما الجنّات تجري تحتها الأنهار ؟

ما الحشْر المباغتُ ؟

ما سَقَر ؟

لا بدّ أن أمضي

عذابي وردةٌ

وفمي حجر ..

دونتُ عنواني
ورقم الهاتف السريّ
في سيارةٍ ملغومةٍ
ودفعتُها في البرّ
لم أحدس
بأن غزالةً زرقاء
سوف تلومني أبداً
قتلتُ حبيبها
ونثرتُ عنواني
ورقم الهاتف السريّ
في أشلائه
وقتلتُ سنبلةً ووردهْ
ونكصتُ مغموماً
وكنتُ أنا القتيل
وقاتلي ذئب خرافيّ
كساني الخَلقُ جلدَهْ !
كدّستُ أشلائي

وأشلاء العدوّ
(دماؤنا اختلطت)
وصورةَ منزلي المنسوف ظُهراً
والأضابيرَ الصغيرة والكبيرة
والتقاريرَ الوفيرة
والقرارات الخطيرة
والإدانات الكثيرة
والنداءات المريرة
كلها كدّستُها
مختومةً بالشمع والقصدير
فوق سفينةٍ ملغومةٍ
ودفعتُها في البحر
لم أحدس
بأن «القرش» سوف يلومني
لا بأس
إن يدي على ظهري
وساقي في فمي

لا بأس

قلبي في الشوارعْ

طفل بلا أهلٍ

دُماهُ كثيرةٌ

يُتمٌ وآر. بي. جي

وجثة أخته الصغرى

وآلاف الحواجز

والجنائز

والمواقعْ

لا بأس ،

قلبي في الشوارعْ

طفلٌ بلا أهلٍ

تطوّحه الزوابعُ في الزوابعْ

ويكون أن يغمى على الفولاذ

تخلعَ جلدها الأفعى

تراودَني قُبيل الضوءِ حَدْأة

ويكون أن يتضاءَلَ الزيتون
ثم يكونُ
أن يلدَ المدى شجراً من الإسمنت
ثم يكونُ أنَّ نيازكاً تنقضّ فجأة
ويطلُّ من صَدْعٍ المسافة
ولدٌ تطوّحه الخرافة في الخرافه
ولدٌ يهوديٌّ صغير
نسيته في انقاضها الأفرانُ
واهترأت على أضلاعه الأسلاكُ
قُلتُ: أخي تصيرْ
ولدٌ يهوديّ صغير
في قلبه قمرٌ هلاميٌّ
وفي شفتيه أغنيةٌ
عن الناي المكسَّر في البراري
عن قطيعٍ مات راعيه الضرير
ولدٌ يهوديّ فقير
قاسمته خبزي وأزهاري

وأسراري

ولم أحدس

بأنّ «القرش» سوف يلومني يوماً

ولم أحدس بأن غزالةً زرقاء

سوف تلومني أبداً

ولم أحدس بأن أبي الفقير

يغتالُهُ

ملك يهوديٌّ صغير !

لا بأسَ

لي عينٌ على كفّي

ولي أنفٌ على رئتي

ولي شمسٌ بلا نورٍ ولا نارٍ

ولي أفقٌ يطلُّ على الضمير

وراءَه أفقٌ يُطل ..

ولا ضمير ..

مسكونةً بالحزن والحمّى
أزقّة قريتي اكتظتْ
برعبٍ فاجعٍ
تروي العجائزُ
أن أفعىً من بلاد الهند
تسكُنُ منزلاً في الحارة التحتا
وأنّ خراف إبراهيم
تثغو بعد نصف الليل في الطرقات
لم نخرجْ إلى الحارات
بعد غروب شمس الله
لم نشهدْ ليالي العُشر في الخلوات
لم نعبر بباب كنيسةِ البلد العتيقة
إنّ جبرائيل يظهر في المساءِ على نوافذها
ويُحكى أنّ .. يُحكى ..
وغبارُ نعلِ محمدٍ
ـ تروي العجائزُ ـ
صار تلّاً عند عكا

وأنا أموتُ من اليقين

أموتُ

ثم أموتُ شكّا !

لا بدّ أن نمضي

اشتعلنا كالإطارات القديمةِ

في مداخل قريةٍ

للمرة العشرين داهمها الغزاة

لا بدّ من إكليل وردٍ طازجٍ

خرجَ الربيع إلى الشوارع

غاضباً

أحبابنا الشهداء في القبر الجماعيّ

استردوا موقعاً في الأرض

والتفتوا إلى ضوء الحياة

وتهدّجت صيحاتهم

طوبى لهم

طوبى

ونوغل في السباتْ

من أنتَ ؟
من هذا الذي هو أنت ؟
من نحن ؟
انتظرني يا مسيحي المنتظَرْ
لم يبقَ لي أحد سواكَ
وليس لي أحدٌ سوايَ
تعالَ
إنَّ عناقنا الدمويّ فاتحة الحقيقة
وتعال
نبتدىء الخليقة

يا أيها البدويّ
لا تنتظر وراءَك
لا نخيل ولا صهيل ولا وترْ
قيسٌ وليلى عاريان على ضفاف «السين»

«إل. إس. دي» نديمُها
وحزنُ «الهنك»
والشجن المكابرُ
والضجرْ
قمرٌ ؟ أتسأل عن قمر ؟
أو. كَي.. «عَرَبْسات» القمر !

رابِطْ
ولا تنظر وراءَك
إن معقلَنا الأخيرَ هُنا ..
ومعقلُنا هنا ،
يمتدُّ من قبري لقبرِكْ
رابطْ
على أنقاض سرِّكْ
أجِّل صلاتك للإله المعدنيِّ
ألا ترى الخلل المعشّش في المحرك ؟
فجأةً تخبو الصلاةُ المعدنيةُ

يصمتُ التوربين

ياه !

زمنٌ يزلُّ الأنبياءُ على مزالقهِ

ويسقطُ في مكائدِه إلهٌ

ثم يسقط عن معابده إلهْ

ويسير فيه المؤمنون على الجباهْ

زمنٌ .. وآه !

فوضى

وطقسٌ لا يُعد دروسه سلفاً

وما أقسى الربيع بلا فراشٍ

تلك واحدةٌ ترفُّ

على ركام الحاجز المقصوف جواً

تلكَ واحدةٌ تُطلُّ برأسها من جُمجُمه

خللٌ يعشّشُ في الأماني

خللٌ يشرّشُ في الأغاني

خللٌ

دروبٌ مبهمهْ

خللٌ

قلوبٌ معتمة

خللٌ

دخانٌ في الدخانِ ..

لن يسمع القناصُ أغنيتي

ولن يرضى بغير فمي ملاذاً للرصاصه

هوذا هناك

وراء نافذةٍ محطمةٍ

يسدّد حزنه الوحشيَّ صوب ضراعتي

يمتدّ في منظاره شرهاً

ويوغلُ في جراح ضحيّةٍ أخرى

أراه هناك مصعوقاً

يحاول أن يصادف في دم القتلى خَلاصه

وأراهُ

يعرفني ويجهلني

ويعرفني ويقتلني

ويأخذ جثتي معه رهينه

فلعلهم يهبونه كفني

ولحم حبيبتي

ويدي

ومفتاح المدينه

أنذا أراهُ ،

ولا ضغينه ..

سبحان موتي وانبعاثي

في زغاريدَ الولادةِ

في الأناشيد المراثي

سبحان برقوقي المفتّح عارياً

ملءَ البراري

سبحان عصفوري المغرد

في حطام مجنزرهْ

سبحان جثةِ طفلةٍ

ذهبتْ تفتش عن أبيها

بين أطلالِ النهارِ

سبحان مجزرةٍ تخَبىءُ وجهها في مجزرهْ

سبحان قمصاني التي اهترأتْ
ونيراني التي انطفأت
وأوطاني التي لجأتْ
وإنساني الذي انكفأتْ
على عينيهِ
أجيالُ التمزق والدمارِ
يا أيها الأحياء والموتى
أبوحِ ولا أبوحْ
ودمي يجلجلُ في شراييني
وتشتعل القروحْ
ويظلُّ لي جسدٌ
إذا جسدٌ مضى
ويظلُّ روحْ ..

بابُ المغارةِ موصدٌ دوني
سقوط نيازكي في ساحة الأقصى المبارك
كِلْمةُ السرِّ الأخيرةُ

دولقي شغفي بسنبلةٍ تميسُ على انبهار الفجر
أعلامي السنونوّاتُ
خَفْقُ الريح في الزيتون والسرّيس
كان نشيديَ القوميَّ من أزلٍ
إلى أبدٍ يظلّ نشيديَ القوميّ
آبائي البيادرُ
والمعاصرُ
والقناطرْ
وسلالتي
وَلَهُ العناصر بالعناصرْ
وسلالتي
حُلم يُعدُّ دروسَهُ
حلوٌ وشاطرْ ..

وأعود أمسِ من العواصفْ
وتعودُ أنتَ من القذائفْ
ويعود عفوُ الله والانسان

من غضب الزلازلْ
وتعود أيدينا المقطّعةُ
الموزّعةُ
الملوّعةُ
البعيدهْ
تبني المدارس والمقاهي والمنازلْ
تبني مدينتنا الجديده ..
صورٌ ملونةٌ
كلامٌ طيبٌ
خطّ جميلْ
صحفٌ
إذاعاتٌ
سفاراتٌ
وزاراتٌ
قتيلٌ
آخذٌ بيديْ قتيلْ

دولٌ
عواصمْ
قناصةٌ عُميٌ
مطاراتٌ
قطاراتٌ
عباءاتٌ
ملاءاتٌ
زعاماتٌ
مقاماتٌ
جماجمْ

عربٌ
يهودٌ
قوةٌ دوليةٌ
رومٌ
أعاجمْ

ولجَ المهاجمُ في المُدافعِ
والمدافعُ في المهاجمْ

ولدٌ يحاصرُ أمّهُ
أمٌّ تُغير على الولدْ
بلدٌ يهاجرُ في بلدْ

وعليّ أن أمضي
وأن تمضي
ونوغلَ في الأبدْ ..

حجراً على حجرٍ وينهضُ منزلُ

بين الركامِ، وينهضُ المستقبلُ

وتعودُ من لأْيِ السِّفار حبيبتي

ويُعيد نضرَتنا الزمانُ الأولُ

هي تلك في أرض الردى تفاحةٌ

نضجتْ وسنبلةٌ تحنُّ ومنجلُ

وعلى التراقي زعترٌ وحقائبُ

والبابُ يشهقُ والسياجُ يهللُ

ألعشبُ رهوٌ والسبيلُ مُمهَّدٌ

والشوق يُسرع والمدى يتمهّلُ

هي تلك بنتٌ شرّعتْ شباكها

ملءَ الوجودِ وشاعرٌ يتغزّلُ

هي تلك، دنيا ودّعتْ أمواتها

واستقبلت أحياءَها واستَقْبَلوا

عفواً وهادَ الموت ! أنت جميلةٌ

لكنَّ قمّتنا الولادةَ أجملُ !

لا بدَّ أن تمضي

لكي أمضي

وأن أمضي

لكي نمضي

تعالَ إليَّ

أغنيةً مفخَّخةً

وصاعقةً رشيقهْ

وتعالَ

إنَّ عناقنا الدمويَّ ،

فاتحةُ الحقيقهْ

وتعالَ

نبتدىء الخليقهْ !

١٩٨٥/٥/٢
الرامة ـ حيفا ـ برشلونه

أبـي

كبرتُ

وصرتُ

من الأهل في منزل الحزنِ

قلبيِ تمهَّلْ

وصوتي ترهَّلْ

وضاقت خطايَ

هرمتُ

وغمتُ

وإنِي لأسأل نفسي وأسألْ

وأسأل نفسي وأشقى وأضجرْ

ألم يكن العشبُ أنقى وأنضرْ ؟

هل الصبحُ أصفر ؟

هل الوردُ أغبر ؟

ألم يكن الأفق أعلى وأرحبْ

ألم تكن الشمس أزهى وأقرب

كبرتُ

وصرتُ

من الأهل في منزل الحزنِ

يا والدي من تغيَّر ؟

وماذا تغيَّر ؟

كان قبري ، فكيف أصبح قبرَك ؟

وهو سرّي .. أم أنه كان سرَّك ؟

يا أبي ! والدي ! أبوي ! ويابا

فيكَ وحَّدتُ ، والرَّدى فيَّ أشركْ

يـا صـديقي وفـارسي وإمـامي

لهفةُ الروح تقطع الموتَ إثـركْ

أتشهّى نداءك العذب « يا ابني »

وجوابي لدى ندائك : « أمرَكْ ! »

غبتَ عني .. هل غبتَ عنّي ، وهذا

طيفـك الحيُّ بيننـا يـتحـرّكْ

لم تـزلْ تمـلأ العبـاءَةَ بـيتي

من ترى يملأ العبـاءة غيركْ ؟

قصارى الرضا

وجهُك السَّمْحُ في مشرق العمرِ

يا والدي

غاية الرزق من مشرِق الشمسِ

همستك الطيبّه

« صباحُك يا ابني خيرٌ ! »

أبوسُ يديك

وألثمُ ردن عباءَتك المعشبَه

وأملأ روحي

برائحة البنِّ والتربة الطّيبه

وأملأ قلبي

بحكمتك السَّمحة المرعبه

« صباحك خيرٌ ونورٌ »

وأهمسُ

يا والدي كم أحبُّك !

وأومنُ أنك حيٌّ كحيدر(*)

وأحلى وأكبرْ

وأعلى وأنضرْ

زيتـونةٌ من « خلة القصبِ »(*)

تهبُ الـوجـودَ لأمــةِ العـربِ

نشـرت على الآفـاقِ خضـرتهـا

وتفجـــرت نـوراً مـــدى الحقبِ

مـــا زرتُهـــا إلا وعـــاجـــلَني

منها سؤال الحزن : « أين أبي » ؟

(*) جبل حيدر الذي يحمل الرامة على زنديه مثل طفلة ترفض النوم .
(*) قطعة أرض تنبت زيتوناً وأجيالاً وتاريخاً .

توقف قلبكَ

ساعتك الأوميغا استسلمت للزمان

استوت راحتاك على جانبيك

تعبتَ

ونمتَ

وخفتُ عليك

توقف قلبكَ

قلبك في جسدي موضعُهْ

توقَّف ،

لكنني أسمعُهْ

اليكَ ذراعي

اليكَ انكساري وحبّي

أرحْ في يدي يدك البارده

توكّأ على خوف قلبي

توكّأ على دمعتي الجامده

أتفتحُ أبواب حزني

وتُغمضُ عينيك عنّي ؟

أبي لا تدعْني

أبي لا تدعني

لديّ كلامٌ كثيرٌ إليكْ

وشوق كبيرٌ

إلى لمسةٍ من يديكْ

فلا ترحل الآن

يا جسر روحي

الى أبد في الأبد

لقد كنتُ يا والدي والداً

وعدتُ على ركبتيك الولد

أترحلُ عني ؟

وتوصدُ خلفَك أبواب حزني ؟

لم أضعْ فوق جدارٍ صُوَرك

يا أبي كيف ألاقي نَظَرك ؟

يا أبي يوجعني حبُّك لي

ومقامي مستعيضاً سفرك

ضحكةُ القلب انتهتْ يا والدي
دمعةً فوق ترابٍ دثّركْ
وإذا أبصرتُ أمي علمتْ
أن قلبي ، معها قد أبصركْ
يا أبي ما زلتَ في منزلنا
ماثلاً ، لم ننسَ حتى نذكُركْ
وأنا الهمُّ الذي كابدتَهُ
راضياً ، سبحان روحٍ عَمَّرَكْ
كم تماديتُ وكمْ باركْتني
غافراً من قبل أن أستغفركْ
طفلُك المُتعَبُ مشتاقٌ ، فمنْ
يا أبي ، عن موعدي قد أخّركْ ؟

ليلا ، على باب فدريكو

فدريكو ..

ألحارس أطفأ مصباحَهْ

إنزل

أنذا منتظرٌ في الساحه

فد .. ريـ .. كو

قنديلُ الحزنِ قمرْ

الخوفُ شَجَرْ

فانزل

أنا أعلم أنك مختبىءٌ في البيتْ

مسكوناً بالحمّى

مشْتعلاً بالموتْ

فانزل

أنذا منتظر في الساحه

مشتعلاً بلهيب الوردة

قلبي تفاحه ..

ألدّيك يصيح على قرميد السطحْ

فدريكو

النجمة جرحْ

والدم يصيح على الأوتار

يشتعل الجيتار

فد .. ريكو

الحرس الأسود ألقى في البئر سلاحه

فانزل للساحه

أعلم أنك مختبىء في ظل ملاك

ألمحك هناك

زنبقةً خلف ستارة شبّاك

ترتجف على فمك فراشه

وتُمَسِّدُ شعر الليل يداك

إنزل فدريكو

وافتح لي الباب

أسرع

أنذا انتظر على العتبه

أسرع

في منعطف الشارع

جلبة ميليشيا مقتربه

قرقعة بنادق

وصليل حراب

إفتح لي الباب

أسرع

خبّئني

فدريكو

فد .. ريـ .. كو !

مدريد ١٩٨٥/٥/٢٧

أنت تدري كم نحبك !

(الى المتماوت معين بسيسو)

كوفيّةٌ في الريح تخفقُ

خصلةٌ من شعرك الوثنيِّ

مشبعة بملحِ البحرِ

تخفقُ

عندليبُ الروح يخفقُ

آخ من قضبانِ صدرك

ضاق بالاعصار

انتَ محاصَرٌ
يا أيها النوتيُّ
أية نجمةٍ سقطتْ على الغابات
أية وردةٍ خفقتْ على الأمواجِ
قلبُكْ !

من أينَ جئتَ ؟
وكيفَ كنتَ ؟
وأينَ أنتَ ؟
وأين دربُك ؟

إنسٌ وجنٌّ في ثيابكَ
آيةُ الكرسيِّ
لمْ تشفعْ
ولم تردعْ
صلاتُك أخطأتْ محرابهَا
حائِرْ

سماؤكَ أوصدتْ أبوابَها
وارتاحَ ربُّكْ .

خُذها نصيحة ميِّتٍ
يدري وتدري كم يُحبُّكْ
يا أيها الصِّديقُ مُتْ
في الكأسِ ظلَّتْ سُؤرةٌ
يا أيها الزنديقُ مُتْ
سيرنِّحُ السمَّار نخبُك ..
بيني وبينك يا حبيبي
طفلةٌ نزفتْ
على مهماز فارِسها الجبانِ
بيني وبينكَ
ما تساقطَ من زمانكَ في مكاني
بيني وبينكَ
دمعتانِ
وقصيدةٌ منفيَّةٌ

خَلفَ المراثي والأغاني

ولنا الدمُ المرسومُ سُنبلةً

على مرجِ الزوّانِ

فارحَلْ

ولا ترحَلْ

كفاني من رحيلي

ما كفاكَ وما كفاني ..

يا ابن المدارات السحيقةِ

يا عريس اللوز والليمونِ

كيف مدارك الجوفيُّ ؟

كيف عروسُكَ البيضاء ،

في المنفى الهلاميّ البعيد ؟

كيف الطقوسُ لديك ؟

هل ما زلتَ تذكُرنا ؟

أتذكُرُ طقسَ صبوتك العنيدة

وانفجارَ الروح بين يديك

هل في الكوكب السريّ من

تأتيكَ بالنبأ الجديد ؟

وترٌ نحاسيٌّ على أنقاضِ قلبكَ
آخرُ الأنباء
دميةُ طفلةٍ مبتورةِ الساقين .
تحت الشرفة السوداء
سيّدةٌ تلمُّ غسيلها الناريَّ
فوق الشرفة السوداء
قاذفةٌ تُغير على حديقه
هل أنتَ مُصغٍ ؟
تلكَ سمفونيّةُ الكاوبوي
تعزفها أساطيل الخرافةِ
في طقوس الصُّم
تعزفها على أوتار قلبكَ أنت
موعظةً من الشركات
والبورصات
والثكنات

للأمم العدوّة والصديقه

وترى ألستَ ترى حبال الله ،
نازلةً
من الهليكوپتر المختال جبريلاً ،
إلى الأرض الغريقة ؟

أنذا أخاطبُ قلبكَ المشطور
ما بين الحقيقةِ والحقيقة
فاسمع
ولا تسمع
كفانا في دهور الموت
ما تلدُ الدقيقة ..

نفَّرتَ طير الشؤم
عن جيف السكارى الميتين
وقذفتَ في بئر الجنون

حجراً تناثَرَ في دوائرها المخيفةِ
وارتجلتَ النار منطفئاً رمادياً
تطوّحُهُ بلادُ الله والشيطان
يقذفُهُ الكمين الى كمين
غنيتَ للإيمان
لم تُنشِد ولم تَنْشُدْ أميرَ المؤمنين
غنيتَ للأحياء والأموات
من زمن
سئمتَ الآن
غنّاكَ الزمنْ
يا صاحبي الصعلوك
فامنحني القليل
من الهدوء المستحيل
من كنتُ حتى أبتلى بعذابِ غزّةَ
مرةً أخرى ،
وكم من مرّةٍ أخرى ابتُليتُ
بكلِّ أحزانِ الجليل ..

يا صاحبي !

فيِ النعشِ متسَّعٌ لأغنيتين

واحدةٌ تقول : أنا الكفنْ

وتقولُ واحدةٌ :

تعبتُ من الرحيل الى الرحيل

وتعبتُ من وطنٍ يموتُ بلا وطنْ !

يا صاحبي حيّاً وميْتاً

أيها النهمُ البخيل

فيِ النعشِ متَّسَعٌ لصعلوكين

كيف مضيتَ وحدكَ

دون صاحبك القتيل ؟!

زيتونةُ الطوفان في قلبي

تعاتب فيكَ بركانَ النخيل !

ماذا عليكَ لو انتظرتَ دقيقتين

وسكرتين

وليلةً مُستهتره

ماذا عليكَ لو انتظرتَ

قصيدتين

ووردتين

ومجزره ..

ما كان عدلاً منكَ أن تمضي

ونحنُ مقيّدون

إلى حديد مجنزره

وكلابُ بن نونَ الجديد ،

تلوكُ في أمنٍ عظامَ المقبره .

وتريد قبراً مثل من ماتوا ؟

وهل عشنا كمن عاشوا ؟

وهل متنا كمن ماتوا ؟

تواضَعْ !

باسم ربٍّ بارك السكين

حتى تقتلكْ

ألُمهل السفّاحَ من أزلٍ إلى أبدٍ

براكَ وأهملك

وتريدُ قبراً ؟
غيرَ خندقٍ ثائرٍ
لا قبرَ لكَ
في موطنٍ صليتَ ألا يجهلك
وبكيت كي يستقبلك ..
كم من نبيٍّ علَّلك
كم من إله أمَّلك
يا صاحبي لا قبرَ لك
لا قبر لك !

حاولتُ أن آتيكَ
يومَ فقأتَ قلبكَ بالسرير
في الفندقِ النائي الأخير
حاولتُ أن آتي
لأحضنَ رأسكِ المقطوعَ
بالحسرات
في منفى الضمير

حاولتُ أن آتيكَ

كم حاولتُ

لكنّي فقير

وتذاكرُ الشعراء غاليةٌ

على الشعراءِ غاليةٌ

وأرضُ الموتِ عاليةٌ

على العمر القصير .

حاولتُ أن آتيكَ

معتذراً لموتكَ عن حياتي

آتي ؟

أجبني كيف آتي

بابُ الحنينِ مشرَّعٌ

لكنَّ بابَ القاهره

سدَّتهُ في وجه الحنينِ

نجومُ داوودَ ..

استغثتُ برعبيَ السحريّ

لم يُسعفْ علاء الدين والمصباح

لا طاقيّةُ الإخفاءِ أجدتني
ولا أجدتْ أفاعي الساحره ..

إنهضْ
ولا تنهضْ
فأشباهُ الرِجالِ
كما عهدت
على الرجالِ أباطره !
وسيوف أسياد الحمى
حول الخلافةِ
والرصافةِ
والمضافةِ
والكنافةِ
ساهره ..
وجيوشهم جرّارةٌ
لا لاستعادةِ موقعٍ
أو مسجدِ

أو زهرةٍ بريةٍ
لكنْ لسحقِ مظاهره
ولقتلِ طفلٍ
ما درى
أن الحنينَ الى أبيه .. مؤامره !

حاولتُ
سامحْني
وأقسمُ
لن أسامحهم لآخر آخره !

للياسمينة أن تنوح
وأن تبوح
بما تشاء
ولساحة الأقصى الدعاء
ولأمهات الاخوة الشهداء
ان يقعدن كيف يشأنَ

في باب المساء

ولكَ الدعابةُ

نحن نعرفُها

دعابتَكَ الفلسطينيةَ السوداءَ

نعرفُها ،

فلا تُثقل علينا

بالمطال وبالرجاء ..

متماوتٌ

متماوتٌ

أسرتْ بكَ الأشواقُ

من أرضٍ

إلى أرضٍ بعيده

متماوتٌ !

قُلها ،

وفاجئنا بأغنية جديده

يا أيها الصِّدّيقُ عِشْ

يا أيها الزنديقُ عِش

لم يبقَ وقتٌ عندنا للموت

إن ننقُص

يزدْ أعداؤنا

فانهض

رشيقَ القلب والخطوات

دقّتْ ساعةُ الميعاد

ها هُم

خلفَ بابِ الموتِ صحبُكْ

ما زال ملءَ الشمسِ

والانسان

والتاريخ

شعبُكْ

فانهض إلينا

يا رفيقي

أنتَ تدري كم نُحبكْ

أنت تدري

كم نُحبكْ ..

الرامة ٢٧ شباط ١٩٨٤

مأساة « هوديني » المدهش

سَأبدأُ بالرعبِ (من سُرَّتي) .. إنَّ لغماً يسدُّ الطريق

على الخاصره

ولا علمَ لي بفنون القتالِ . اشتبكتُ قليلاً مع الحسرة .

استبقتني الحوادثُ انكرني الأصفياءُ . وأدركتُ أني أمارسُ

لعبتيَ الخاسرةْ.وأبدأ بالسِّحر (من جُثّتي) آن لي أن أناوش

ضَعفي قليلاً . وأوقدَ ناراً على جَبلي . آن لي أن أصالحَ بين

الزنازين والوردة الساحره

فلا مكةٌ مكّتي

ولا جِلَّقٌ قِبْلَتي

ولا فَرسي القاهرهْ

سأبدأ قبلَ البدايهْ

لانَّ الختامَ كنايهْ

وأبدأ من صرخةٍ في الترابْ

وأبدأ من سَعْفَةٍ طوَّحَتْها الزوابعُ خلفَ السراب السراب

السرابْ

وأبدأ من طفلةٍ ضامرهْ

أهْوَتْ على العتبهْ

زرقاءَ مُقْتَضَبَهْ

في كفِّها حجرٌ

وَدَمٌ على الرقبهْ

وَدَمٌ على دَمِها

وفراشةٌ في الصدرِ مُلْتَهِبهْ

أهوتْ على العَتبهْ

من آخرِ الزمنِ

أموتُ بلا أهلٍ ولا وطنِ

عزلاءَ باسمِ اللهِ مغتَصَبهْ

والبابُ ـ لا مفتاح

والليلُ ـ لا مصباح

يا واهبَ الخجلِ

أسرَفْتَ في أجلي

فاخجلْ

ألا تخجلْ

من سِحركَ الأوّل

يا قاتلي جهراً

أتُحيِيني

سراً

لتبعثَ فيَّ « هوديني » ؟

أنْ تحذقَ الافلات من المآزق ؟ أيّةُ مهنةٍ هي هذه ؟ فيا أيّها السادةُ أعضاء السلك الدبلوماسي ورجالَ الاعلام ! يقيناً

أنكم تجدون في المستر هوديني رجلاً مسلّياً بالعابه السحريّة المدهشة . يجيد الفكاك من المآزق الحرجة ، بشكل غير قابل للتصديق . بيد أن المستر هوديني كلّفني شخصياً بأن أنقل اليكم امتعاضَهُ الشديد من اضطرارِهِ لتكرار هذه اللعبة السخيفة القاتلة . وأود أن أُطلعكم أخيراً على أسرار حزنه المميت .

آها ! فهمتُ الآن
لا مَنجىً من الركضِ المثابرِ
إنها تلتفُّ من حولي وتطبقُ
بالفروعِ وبالجذوعْ
« يا غابةَ الشيطان ! »
أشتُمُها وأركض
أينَ أركضُ ؟
لا دليلَ الى الامام
ولا سبيلَ الى الرجوعْ
سبحانَ من أسرى

على بعد المزارْ

هي ورطة اخرى

إسارٌ فُكَّ

يعقُبُه إسار

سبحانَ من ... ..

وحدي

ولا جدوى ببسملةٍ

ولا سلوى بحوقلةٍ

أأضحكُ ؟

تلك مُعضلتي

أأبكي ؟

هل يشقُ الضحكُ

سرداباً

وهل تُفضي الى الدرب الدموعْ ؟

سبحان من زادَ القيودَ

وأنقصَ الأسرى

وأومأ بالبروجْ

هي ورطة كبرى !

دخولٌ ؟

أم خُروجْ ؟

آها .. فهمتُ الآنَ

بطن الحوت

« يونا » البعث

سرّ الموت والميلاد

آ .. ها ..

لا كثيرَ ولا قليلْ

غير الذي تركتْه طائرةٌ على جَسَدِ القتيلْ

« أو . كي » أنا أدري ولا أدري

سبيلٌ ـ لا سبيلْ

مدنٌ تُباعِدُ بينَ أطلالِ المخيَّم والمخيَّم

(لُطفاً أيعنيكِ الذي يجري ؟)

تمطُّ شفاهَها

واللهُ أعلمْ

مدنٌ تمدُّ موائد الويسكي

وتبكي مثلما أبكي

وتضحكُ مثلما أبكي وتغضب ثم تندمْ

ثُمَّ تغضبُ .. ثمّ تندمْ

(لطفاً . أيعنيكِ الذي يجري ؟)

تعودُ لحُلمها

واللهُ أعلمْ

« يا مقصفَ الديدان ! »

أشتُمها وأضربُ

جثتي قوسي وقنبلتي

أناديها

أمنحيني لحظةً للحزنِ

تولدُ مثل موتي

ويحزُّ في عنقي

وفي رسغي

وزندي

حبلُ صوتي

آ . ها . فهمتُ الآن

بين القلب والشفتين

يأتيني الذي يمضي

ويتركني ويأتي

قفْلٌ على زَرَدٍ

على قفلٍ على زردٍ

وصندوقٌ من الفولاذ

أودَعُ فيهِ

بعد هُنيهة يُلقون بي في البحر (والصحراء)

يهلع حوليَ النظّارةُ العُميان

تهتفُ لي الجموعُ - ولا جموعْ

صَخَبٌ

وموسيقى

وأعلامٌ

وزيناتٌ

أيّبصر واحدٌ منكم

على أهدابِ عينيَّ الدموعْ ؟
« يا لعنةَ القطعان ! »
أشتمكم وأغرقُ
لا مفرَّ من النزول
ولا مفرَّ من الطُلوعْ ..

الطفل اليهودي أنريخ (ابن الرابي صموئيل فايس) . من مواليد آذار ١٨٧٤ . والمعروف لاحقاً بالساحر هاري هوديني . صانع المعجزات في التملّص من المآزق المميتة ـ الكليشات . معسكرات الاعتقال . أفران الغاز . التشرّد . المذابح . خبأت امه كعكتها في خزانة محكمة الاقفال . وحين عادت الى البيت اكتشفت أنه التهم الكعكة بينما الاقفال ما زالت محكمة تماماً .

الطفل الفلسطيني سميح (ابن محمد قاسم الحسين) من مواليد أيار ١٩٣٩ والمعروف لاحقاً بالشاعر سميح القاسم . صانع المعجزات في التملّص من المآزق المميتة ـ الكليشات . معسكرات الاعتقال . التشرّد . المذابح . خبأت هيئة الأمم

وطنه في زنزانة محكمة الاقفال وحين عادت الى البيت اكتشفت أنه أخرج جثته من الزنزانة بينما الاقفال ما زالت محكمة تماماً .

ما هذه الضجّةْ ؟

كل الذي صارا

أنّي ثقبتُ بأدمعي تفاحةً فجه

وَتخذْتُها دارا !

سُدّوا شوارعَكُمْ

وتنفَّسوا الصعداء

لن تجدوه يا أحبابه مَعَكُمْ

وتنفَّسوا الصعداء

لن تجدوه يا أعداءهُ معَكُمْ

هو ذاك هوديني

هو ذاك في حانِ الرّدى يَسْكَرْ

هو ذاكَ هوديني الفلسطيني

مَلِكاً .. بلا عسكرْ

الكأسُ والسكينُ والوردهْ
والبردُ والوحدهْ
سُمّارُ هوديني
من أينَ جاءتْ هذه الدمعهْ
من جفنِهِ
أم منكِ يا شَمْعَهْ ؟
يَمْشي على الماءِ
في الليلِ .. عُريانا
كم موجةٍ صاحتْ :
من كانَ ؟ من كانَ ؟
كم موجةٍ باحَتْ :
أبصرتُ سيمائي
يمشي على الماءِ
في الليلِ
عُريانا ..
غَطُّوهُ بِالجُلّنارْ
إن ماتَ بين سنابلِ الأغوار

غطُّوهُ بالسُحُبِ
إن ماتَ بين أيائِلِ النَّقَبِ
غطُّوهُ بالبيرقْ
إن ماتَ بين حشائش الجرمَقْ
غطُّوه بالشمسِ
إن ماتَ في القدسِ
خلوهُ عرياناً يوزِّعْ بينكُمْ رُعْبَهْ
إن ماتَ في الغُربهْ !

مرّةً أخرى دلف الشاعر ـ الساحر الى الزنزانة عارياً مكبلا بالأغلال . والجماهير المحتشدة ترقبه بدهشة لا هلع فيها . ثم عاد مستدركاً وبحركة مسرحية أنيقة ، انحنى للجماهير محيياً فدوّت بالهتاف والتصفيق وقد نفد صبرُها بانتظار لعبة الموت الممتعة .

أما هو فراح يجيل بينها نظرته الرصاصيّةَ الواثقةَ بقدرةٍ خارقةٍ على اجتراحِ المُعجزات ولم يلحَظ أحدٌ ستارةَ الدمع الشفّافة التي انزلقت من جديد على المشهد المتكّرر بقسوةٍ

نادرة ..

آخرُ الكونِ جبيني

أرصُدوا أعماقكُم .. تكتشفوني

بُحْتُ للصحراء والشمسِ

وللفُسطاط والقُدسِ

وكم بُحْتُ

فمي زنبقةُ الفولاذ

للنار أغانيًّ

وللنُّورِ مراثيًّ

وللحكمةِ سحري وجنوني

ودمي غرغرة الأموات بين الأضرحة

وصريرُ البابِ في الليلِ

صفيرُ الريحِ في جُمجمةٍ

تهربُ من مذبحةٍ في مذبحة

فتعالوا شاهدوني

شاهدوا سحري وضجوا

حيرةً مني ودهشة

وتعالوا

أحكِموا فكَّ الكلبشةْ

لمسة صغرى

وتنهارُ أحاجيكم

يكون المنتهى في العالم السحريّ

مثقالٌ من الحزنِ

وتمضي قَدَمي في العالم الأرقى

مداراتٌ جديدة

التقاويمُ جديدة

لمسة أخرى جديدة

لمسة أخرى

تكون الجاذبيَّة

شارةً في مُعجمِ السحرِ

وقلبُ الرجلِ الآليِّ

مفتاحَ الفلسطينيِّ

والأغلالُ

إيقاع قصيدةْ ..

أنذا الساحر هوديني

أنا السرُّ الفلسطينيّ

والسحرُ الفلسطينيّ

أدعوكم من المعلومِ

أدعوكم من المجهولِ

قوموا واشهدوني

حاولوا أن تبصروني

حاولوا أن تعرفوني

أُرصُدوا أعماقَكُم .. تكتشفوني !

(الرامة ١١/٥/١٩٨٤)

فسيفساء على قبة الصخرة

ـ ما اسمكِ يا عروس ؟

ـ نسيتَني ؟

« يبوس » !

*

ليل على القبابْ

مئذنةٌ ساهرةٌ في الدهرْ

وامرأة بالبابْ

مرتابة بسائحٍ غُرّ
وعسكر أغرابْ

*

رابيةً للموت والحياه
أدعوكِ
أم عمامةً لله ؟

*

الولدُ الحافي
يطالب التاريخ بالحذاء
ويملأ الأسواق بالنداء
أنا أبيع البلسم الشافي
للعقم والصلعة والسوداء ..

*

أنا هنا
تنفّسْ
يا حجري المقدّسْ !

*

يا السورُ يا الأبراجْ

لا بأس يا اسرارنا الحميمةْ

كم فاتحٍ حاول أن يزحزح الرتاجْ

ليستبيح روحنا القديمةْ

وعاد بالهزيمةْ

*

أبصر فيكِ الفاتحه

غدي يصير البارحه ..

*

لا تحرميني نعمة الصلاه

يا نقمة الوضوء

لا ماء للموجوء

لا ماء بآسم الله !

*

دمي على الربابه

من يُنشد الرسولَ والصحابه ؟

*

قلبي عليكِ

آه ثم آهْ

وقلبك الميتُ

تحت أرجل الغزاه !

*

جوهرةُ الناووس

تضيء في الليلِ

صلِّي لنا

صلِّي

يا ربة الطقوس

*

ألخاتم الذهبْ

في اصبع العربْ

من قطع الأصبع ؟

سبحانَ من وهبْ

- ويلٌ لمن ضيَّع !

*

الطفلة الحافيةُ البيضاء

تركض فوق الماء ..

*

تختلف العيون

تختلف النظرة في العيون

يا جبل الزيتونْ

*

أيتها القناطرْ

لا تسدلي الستارهْ

عدتُ من المهاجرْ

عدتُ من الذاكرة المنهاره

بكل ما في الروح من شعائر

*

صهٍ صهٍ

هذا صهيلُ الخيلْ

يهز قلبَ الليلْ

*

غِفارُ يا غفار

لا تقطعي الطريق

لستُ سوى صديق

يستنبت القفارْ

*

زجرتَ

ما ازدجرْ

يا سيدي عُمَرْ

*

الفارسُ المُسلم يستريحْ

تحضُنه زيتونهْ

والسيد المسيح

يُطلُّ من ايقونهْ ..

*

رأيتُ مسمارَ جحا

مفقودُهُ موجودْ

رأيتُ مسمارَ جحا

موجودهُ مفقودْ
رأيت مسمارَ جحا
في حارة اليهود ..

*

لا تطرح السلام
أصغِ .. ألا تسمع
تنفُّسَ الأسوارْ
أصغ قليلاً أيها الغلام
ثم اطرح السلام
وبعدها تلوذ ، كيف شئتَ بالفرارْ .

*

آه عليكَ آه
إقرأ ولا تقرأ
هذا كتابُ الله
والشمسُ في الملجأ ..

*

القرمطيُّ فيّ

يا فقراء الأرضْ

صلوا على النبيّ

هذا زمانُ الرقصْ !

*

سلالمُ الاشواق

تصعُد عبر الغيمْ

يا فارسَ البُراق

جيادنا مسرجةٌ بالضيمْ !

*

جئتُ من الكوفهْ

كي أكتب الآيه

الشمس مكسوفهْ

من مُبلغي الغايه ؟

*

صلوا على القتيلْ

وطمئنوا ذويهْ

جئت لأفتديه

من موته الثقيل

جيوشيَ الزيتون والنخيل .

*

أنا سليلُ اللاتْ

أبي الإله بعلْ

عُمدتُ في النيل وفي الأردنّ والفراتْ

أنا سليلُ اللاتْ

أمشي ، وخلفي الشمسْ

الى رحاب القدسْ

أمشي .. وظليّ الليل !!

*

PERSONA NON GRATA
(شخص غير مرغوب فيه)

يدي لا تزالُ هناك معلقةً في الجناح القديم من المتحف ،
انتظروني قليلاً لأخلع هذا القميص الأخير وأخرجَ فيكم إلى
الساحة ، انتظروني لأطفيء سيجارتي ، سوف أمشي وأمشي
الى وطني حافياً ، يا رفاقي احترقتُ . متى تطفيءُ النارَ نارٌ ؟
متى يُغرقُ البحرَ بحرٌ ؟ متى تُخمدُ الريحَ ريحٌ ؟
متى ؟
أتى ما مضى ومضى ما أتى

فقولوا .. متى ؟

وما زال رأسي هناك على رأسِ رُمحٍ ، وما زال قلبي

هناكَ ، سفرجلةٌ تتفسَّخُ

حوصلةٌ تتشرَّخُ

أغنية علَّبتْها المصانعُ

ساريةٌ حطمتْها الزوابعُ

رأسي هنا ويدايَ هناك ، وبيني وبيني تمرُّ الشعوبُ

وتخفى الدروبُ

وما دامت الأرضُ واقفةً في المدارِ

وما دام طيْشُ الدمارِ

سأُنكر وجهي ويُنكرني أقربائي .

إذن هذه سنَّة الوقتِ من مأتمٍ في الصباحِ الى مأتمٍ في

الظهيرة ،

أمضي الى مأتمٍ في المساءِ

وأُنكرُ كفي ويُنكرني أصفيائي

إذن تتهاوى النيازكُ من قُبَّةِ الحزنِ ناضجةً ثمراً طيباً ، جثثاً في

الشوارع ، نفطاً ، أشعةَ ليزر ، أنثى تفوحُ وحاماً وتذكرُ

أبناءَها الميتين على الأرصفه

وينبلجُ الدم ..

تنبلجُ المعرفه .

وضوحاً شديداً

وموتاً رشيداً

كما يقتضي بروتوكول العواصم والأُمم (اتَّحدَتْ في هواية قتلي وصلبي على قمة الجبل المعدنيّ) اذهبوا يا رفاقُ ستدركُكُم حيثُ كنتم نوازع زوبعتي المدْنَفه .

إذن هكذا .. أُطُرٌ تتكسرْ

صورٌ تَنتثرْ

جُثثٌ تنتظرْ

فأرةٌ خُبزتْ في رغيف الاعاشةِ ،

طائرةٌ وملاكٌ وحيدٌ على غيمةٍ ضائعه

إذنْ هكذا ،

سأرسمُ للولد البدويّ الأخير ذراعاً معلقةً فوق حائط سجن ، وأعدو على سكّةٍ ، قد يجيءُ القطارُ السريع من الشرقِ للغربِ أو قد يجيءُ قطارُ الجنوب ، ولا بأسَ ، أُدركُ

أنّي دُفِعتُ الى نقطةٍ في أقاصي الشمالِ
ولا فرقَ سال دمي في ثلوجِ الحقيقةِ أو في سرابِ الرمالِ
ولا ضيرَ في الموت ليلاً على القارعه
ملاكاً وحيداً على غيمةٍ ضائعه
أجلْ طالَ صلبي ولا أكفُرُ
وما زلتُ أمشي على جمرِ روحي وأستغفرُ
أجل أذكُرُ
لدى نار مدفأةٍ في ضواحي المدينة أرملةٌ تستعيدُ حكايات
عشاقها ، ورجالٌ كثيرون يبكون ليلاً ويغتسلون مع الفجر ،
يرتشفون فناجينهمْ قبل أن يهرعوا للعملْ
وطائرة ظهرتْ فجأةً
واختفتْ فجأةً
وقتيلٌ يحاولُ أن يتذكّر عاشقةً أشعلتْ روحَه بالأملْ
أجل تتكاثرُ في قاع نومي الأفاعي ، أمدُّ ذراعي إلى كوكب في
الفضاء البعيد ، تحزُّ البروقُ شرايينَ صدري ، وأصرخُ لا
ألماً ، صرختي شارتي أنني لا أزالُ على الأرضِ جسماً وحزناً ،
أمدُّ ذراعي وأصرخُ من لوعةٍ ، يا حبيبة عمري نموتُ ولا لن

نموتْ

أجل جسدي أُمَّةٌ ويدي دولةٌ وفمي ثورةٌ وأصابعُ كفي مزارعُ

أوردتي منشآتٌ جبيني مصانعُ أنفي جسورٌ وساقي شوارعُ

أُذني مدارسُ عيني بيوتْ

وإني أموتُ ولا لن أموتْ

ليفترس الظلُّ ما شاءَ ، خابيتي لا تخون النبيذ المعتقَ فيها ،

وأزمعتُ أمراً ، رهاني كما قلتُ أمسِ الجوادُ الأخيرُ الذي

سيفوزُ ، انهضوا وارفضوا ميتة الذلِّ ، صندوقُ أمواتكم

خشبٌ فاسدٌ ، إن نعشي المبطّن بالمخمل الأرجوانيّ أحلى

وأغلى وأعلى ، انهضوا وارفضوا جُثتي فوق أسدافكم نجمةٌ

تومضُ

فانهضوا

وارفضوا !

هنا أول المجزرة

وآخرها صيحتي المقمرة

وأُدركُ أن زجاجي تُهشّمُهُ طلقةٌ ، صوِّبوا جيداً ، حاولوا أن

أكون القتيلَ ، صِغاري صغارٌ على الموتِ ، فاكهةٌ فجَّةٌ لا تليقُ بأسيادكمْ ، صوِّبوا جيداً ، إن زوجتي الآن آمنةٌ بين أشياءِ مطبخِها ، صوِّبوا جيداً ، ها أنا الآنَ وحدي أطالعُ « مجنون إلسا » إذا مالَ قنّاصُكم بوصتين سيُبصر بي شبحاً هادئاً قرب نافذةِ المكتبهْ

تعالوا ،

تعالوا جميعاً بنيران حقدكم المرعبهْ

تعالوا ! لديّ هنا سُلَّمٌ لولبيٌّ يخيطُ السماءَ إلى الأرضِ ، مروحةٌ تتعطّلُ في الحرِّ ، دبّابةٌ تتمشّى على بطنِ سيدةٍ حاملٍ ، وَلديَّ هنا أُممٌ مُجدبهْ

جماجمُ مسفودةٌ بالنياشين في بورصة الموتِ ، أحذيةٌ سكنتْها العقاربُ ، من لي بكوبٍ من الماءِ مزّاً أُجاجا لقاءَ دمي ودموعي ، جُرحتُ وجرحي بليغٌ وصوتي بليغٌ وصمتي بليغٌ ، وإنّي أطأطيءُ قلبي احتراماً .. تعالوا

عذابي انبهارٌ

وسخطي ابتهالٌ

تعالوا

تعالوا

بقائي هروبٌ

وموتي قتالٌ

وأُقسمُ بالتينِ والنفْطِ والصمتِ واللغْطِ والخصبِ والقحطِ

والشُّهدِ والسُّمِّ والوردِ والدمِّ والجهلِ والعلمِ والأمسِ واليومِ

أُقسم أنّي أقاتل

وسوف أظلُّ أُقاتلْ

وسوف أقاتلْ

وسوف أظلُّ

ليولدَ حقٌّ ويزهقَ باطلْ

وسوف وسوفَ ، علا وأسفَّ ، ودار ولفَّ وجارَ وعفَّ ومارَ

وكفَّ وماذا ؟ وكيفَ ؟

إذن هكذا ،

سقوطٌ الى قمة الموت ،

خيلٌ تخبُّ وراءً على حَلْبةِ النكبةِ ـ المهزلةْ

إذن هكذا ،

ركونٌ إلى غفوةِ الظُّهر في مقعد الباصِ ، زنزانة مقفلةْ

وحيضٌ على العُقمِ ، عُقمٌ على الحيضِ والحزنِ والرفضِ
والحبِ والبغضِ ، منتَجَعٌ ـ مزبلهْ
سأخرجُ من جسدي .. لا أطيقْ
وأبحثُ لي عن صديقْ
سأرحلُ عن خطوتي .. لا أطيقْ
وأبحثُ لي عن طريقْ
وما من طريقٍ سوايْ
وهذي خُطايْ
وفي جسدي الخطوةُ المُقبلهْ

رُويداً .. سأعترفُ الآنَ :
قلتُ أُطأطيءُ رأسي احتراماً لأخت الخليفةِ ، يعبرُ حرّاسُها
وتعودُ إليّ ، أطأطيءُ سروالها وأجودُ بما يَسَّرَ الله من نعمةٍ
وتجودُ بما يَسَّر المَلْكُ (أَمْلكُ يعطي ليأخُذْ ؟)
وأعترفُ الآنَ : رأسيَ لغمْ
ورأس الخليفةِ قُنفُذْ

وَإنَّ الخليفةَ يمنحني أختَهُ خلسةً
ليأخذَ رأسي علانيةً ..
دَوِّنوا يا رفاقْ
أُنادي بِمُلكيَ من تونسٍ
وفمي في العراقْ
وفي الشام ساقي الأخيره
وقلبيَ يخفقُ حَيّاً وَغَضّاً
هنالك تحت رمالِ الجزيره
وزنديَ عرفُ البُراقْ
إذن دوِّنوا يا رفاقْ :
مقتُّ وأمقتُ أختَ الخليفة
وبيتَ الخليفة
وصوتَ الخليفة
وأعترفُ الآن :
قلبي قذيفة !
وكفي ملاكٌ
وروحي نظيفة ..

وحزني قبيحٌ

وصبري جميلْ

ويقتلني الصمتُ .. ماذا أقولْ ؟

ويقتلني القولُ .. ماذا أقول ؟

« عبيدٌ وقد ملكوا ! »

ما أقولْ

لعصفورةٍ أرهقتها العواصفُ

والصلُّ في العشّ

والنارُ تحلقُ وجه الحقولْ ؟

« عبيدٌ وقد ملكوا ؟ »

ما أقول

لطفل يتيم وطفلٍ قتيلْ

« عبيدٌ وقد ملكوا ؟ »

ما أقول

لعمري القصير وليلي الطويل ؟

سأخرجُ من وردةٍ سحقتها جنازيرُ دبّابةٍ ، ثم أخرجُ من رئةٍ ثقبتْها البنادقُ والخُطبُ المنتقاةُ من المفرداتِ الفصيحةِ جداً .

سلامٌ عليكَ دمي . وسلامٌ على جثتي . وسلامٌ على من أُحبُّ
ومن لا أحبُّ . سلامٌ على ما أحبُّ وما لا أحبُّ . سلامٌ على
سقسقات العصافير في الفجر (عصفورتي علقتْ والأولى
نصبوا الدبقَ أعرفُهم واحداً واحداً . ويميناً لزاماً وفصلا ختاماً
لسوف أُعَلِّقُهم واحداً واحداً بمشانقِ حزني التي جُدلت من
شرايين لحمي ومن شَعر سيدتي الميتة) .

رويداً رويداً ،

سينتعشُ الفندقُ الفخم عما قريب .. رجالٌ . نساء . عطورٌ .
وأرديةٌ (إن تصميم كاردان متّزنٌ ويليقُ بما يجعل الشهداءَ
نجوماً ..) وأقسمُ بالماءِ والنار والملحِ والخبزِ لن يُفلتَ
المجرمون السكارى بدمعي .

وأُقسم لن يذبلَ الوردُ . لن تُهمَلَ الأضرحه
وأُقسمُ بالنصْلِ والمذبحهْ ..

إلى أين تمضي اليماماتُ ؟
من أين تأتي رفوفُ السنونو ؟
حرامٌ عليّ السقوطُ تباعاً على بابِ أسئلتي ، وحرامٌ عليٌّ

طعامي ومائي
إذا لم أُرمِّم تضاريسَ وجهي ولم أستعدْ شعلةَ الكبرياءِ
حرامٌ عليَّ ترابي
حرامٌ عليَّ سمائي
تحلَّقَ حول ضريحي المسوخُ الأنيقون . لم يطرحوا الوقت .
قالوا :
ـ أتُنشدُ ؟
قلتُ :
سأنشدُ باسم الذي يقتُلُ العَلَقَ المُنتَظَرْ
ومبتدأي والخَبَرْ
وأُغنيةً ذُبحتْ بالوترْ
وسنبلةً من حجرْ
وأنشدُ مرثيتي الثانيه
وجغرافيا الكلمات البعيدة والصُّوَر العاليه
وأُنشدُ لحمي على الطرق الداميه
وسفرَ خروجي من الجنَّة القاسيه
وأُنشدُ لاسمي

وأنشدُ بآسمي
وباسمي يلتهمُ البحرُ طاقمَ غواصة ضائعه
وتُنشدُ عاصفة الموتِ ألحانها الرائعه
وباسمي يُكتَبُ في الماءِ إسمي
ويُمحى على الماءِ جسمي .
وقالوا وقلتُ
وصالوا وجُلتُ
أنا المعضله
تلكّأ قناصُ بيروت . أنقذني الموتُ في غربتي ـ الوطن ـ
الكفن ـ الجُلجُله
ولا حلٌ في الحلِّ حرباً وسلماً .. أنا المُعضله
أنا الأغنياتُ أنا السنبلاتُ أنا الراجماتُ أنا القنبله
ولا خيرَ غيري
ولا شرٌّ غيري
أنا الممكنُ المستحيلُ القبيحُ الجميلُ القصيرُ الطويلُ العدوُّ
الدخيلُ الصديقُ النبيلُ أنا السلسبيلُ الوحولُ القويُّ الذليلُ
الشقيُّ الأصيلُ الغليظُ الثقيلُ السمينُ الهزيلُ الرمالُ النخيلُ

البروقُ السيولُ الصحارى الطلولُ
أنا ناطحاتُ السحابِ ، السحابُ ، الغيابُ الحلولُ الطلوعُ
النزولُ
أنا الممكنُ المستحيلُ
ولا ظلَّ غيري
ولا شكلَ غيري
ولا حلَّ غيري
وحملي على قدْر ظهري
وظَهري على قدْر عمري
وعمري على قدْر صبري
وصبري جميلٌ جميلُ
وصبري طويلٌ طويلُ ..

أسوق شياهي الهزيلة صوب المياه القليلة في شهقةِ البيدِ لا
تشربُ النفطَ نوقي . ولا تستحمُّ بناتي بآبار نفطِ الغزاةِ . لَهُنَّ
الغديرُ ومائي النميرُ وصوتي البشيرُ النذيرُ
لهنَّ إلهي العظيم القديرُ

وأوكلُ أمري لسرّي
ولا سرَّ غيري ..

على كاهلي جبلٌ من سقوطٍ مُشينٍ . عدوّي يُعلمني كيف أخلعُ
نعلي وأهربُ (شكراً) عدوّي يُعلمني كيف أشحذُ نصلي
وأضربُ (شكراً جزيلا ..)
غراميَ يوغلُ في الأرضِ عرضاً وطولا
ويكتسحُ المستحيلا
غرامي يقول ليَ « اكْتُبْ » وأكتبُ
ثم يقولُ ليَ « آقرأْ » وأقرأ
ثم يقولُ ليَ « أذهبْ إلى ملكوتي
غنياً
قوياً
فتياً
جميلا .. »
وشكراً جزيلا .
على متْن طائرة اللوفتهنزا تعثرتُ بالجثثِ . انتَقَدوني كثيراً .

وهاجتْ عليّ المضيفاتُ واحتشدَ الطاقمُ . انتهرتْني من
الفارست كلاس سيدةٌ (من بلاد الملايو ؟) ووبَّخَني رجلٌ
(ربما من هواي !) اعتذرتُ كثيراً وأسرفتُ في الانحناء كما
يقتضي پروتوكول الجنائز . لكنهم رفضوا الاعتذار وحوَّلني
الكاپتن العصبيُّ إلى شركات الملاحةِ من آسيا . عبرتْ غيمةٌ
بملاكين مُضطجعين على متنها . فرفعتُ ذراعيَّ في لهفةٍ
وصرختُ : ألا أيها الصَّاحبان ألا تأخذان الفتى للبلاد التي
أسقَمَتْها فضائلُها ؟ للبلادِ التي بهظتْ روحَها لعناتُ الأراملِ
وامتلكتْ جسمَها شهواتُ الحرائقِ ؟ يا أيها الصاحبان
ارحماني !
ولم يبصراني
ولم يسمعاني

تجمَّعْتُ . شلواً فشلواً . تجمَّعتُ من تيهِ أركانها الأربعه
وحينَ دخلتُ ، تأفَّفَ حارسُ مقبرةِ الأنبياءِ
لأنّي اقتحمتُ المكان المقدَّسَ منتعلاً جثتي . ساجداً في حذائي
ولم أخلع القبَّعهْ

ولم أحترمْ مَوْقعهْ

وصاحَ وناحَ وهاجَ وماجَ . وأقبلت الشرطةُ المُسرعهْ

وتمَّ اعتقالي بدون مقاومةٍ (من أُقاومُ ؟ ألبردُ يقتُلني في العراءِ . ودفءُ السجونِ أحبُّ إلى الأجنبيِّ المُطارَدِ من بردِ أحلامه المفزعهْ .)

يساورني الشكُّ في لغتي . هل كفرتُ ؟ اعذروني ولا تعذروني .. أنا الغجريُّ المحاصَرُ في حزنِهِ . المستميتُ على وردةٍ وقليلٍ من الخمر والنارِ . موتي مجوني . وبعثي جنوني .

وحرّيتي صرخةٌ تتردَّدُ ملءَ المنافي وملءَ السجونِ !

يساورني الشكُّ في الشكِّ ! من كنتُ ؟ هل كنتُ غير غلامٍ من الشرقِ يَكْسِرُ أسنانَهُ الثمر الفجُّ ؟

لم تشرق الشمسُ دهراً ويوماً ، فما يصنعُ الشجرُ ؟ الذكرياتُ مضتْ

في مهبّ الرياحِ . ولم يُسعف الطَّلْعُ . لم يعقد الزهرُ . واختبَلَ الطقسُ في وطن الأحجياتْ

ومن كنتُ ؟ هل كنتُ غير التقيِّ المصلّي وقد أُطبقَ الكفرُ ؟

ثم يُعيد الصلاةَ .. ويُطبقُ سقفُ المصلّى على المؤمنين النشاوى

بروح الصلاةْ .

أكانَ كثيراً على الغصنِ طعمُ الثمرْ ؟

أكانَ كثيراً على الأرضِ ظلُّ الشجرْ ؟

أكانَ كثيراً على الحُلمِ عطرُ السواقي

وضوءُ الزهورِ

ولحنُ القمرْ ؟

أكانَ كثيراً عليَّ قديمُ الأصيلِ

وكان كثيراً عليَّ جديدُ السَّحَرْ ؟

بلادي .. بلادي .. بلادي !

أكنتُ كثيراً عليكِ

وكنتِ كثيراً عليَّ

وكنّا كثيراً على الأمنياتِ وفي الخطواتِ وبين اللغاتِ وبين

البشرْ ؟

رويداً ،

هنالك زنبقةٌ تتأمّلُ قامتَها في مرايا الدماءِ القديمةِ . لا تُربكوا

الزنبقةْ

ولا تخدشوا صمتَها المتلألِيءَ بالدمعِ . لا تفتحوا الكوَّةَ المغلَقَهْ

رويداً ،

دعوا الليلَ في شأنِهِ . سيثوبُ إلى رشدهِ الضوءُ . عمّا قريبٍ

يثوبُ إلى رشدهِ الضوءُ . لا تلمسوا الصخرةَ المُطبقَهْ

رويداً .. رفاقي الأعزاء ، لا بدَّ لي من نزيفٍ جديدٍ لأُحكمَ

رأسي على جثتي . أيها الأصدقاءُ اَلمِسُوني لأذكرَ أنّي حيٌّ ،

لأنهضَ من غفوتي المرهِقَهْ

ولا تزعجوا الزنبقَهْ

دعوها تؤبِّنْ بنيها

دعوها تكفِّنْ ذويها

ولا تُخمِدوا لهبَ المحرقَهْ ..

هنالكَ بنتٌ تغنّي وراءَ التلالِ البعيدةِ . لا تسمعوا الأُغنيهْ

ولا تذكروا البنتَ في مركزِ الشرطةِ . انتبهوا جيداً لاختلالِ

الموازينِ واجتنبوا المعصيهْ

هنالكَ بنتٌ تغني

وتسألُ عني

وقلبيَ يسألُ عنها وعنّي

وقلبي يغني
وتبتهلُ ألأوديهْ

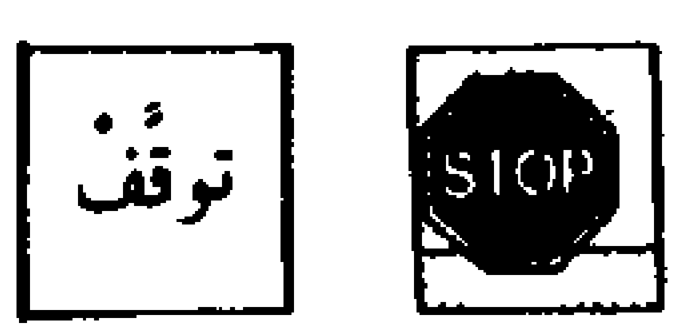
على الطرقاتِ الطويلةِ تمضي الجنائزْ
وتبقى الحواجزْ
ويبقى غلامٌ من الشرقِ دون جوازِ مرورٍ ودون هوّيهْ
وتبقى القضيّةْ
ذراعاً معلقةً فوق باب الأماني القصيّةْ
وأجنحةً من ضبابِ
وساقيةً في السرابِ
تخفُّ إليها خرافي
وتبقى السوافي
وراءَ السوافي
وراءَ السوافي ..

لتبتدىء الحربُ في الجبهة الرابعه
ليُشعلْ قناديلهُ الريفُ ! ضوء المدائنِ داءٌ عُضالٌ . ليبتدىء

المنشدون اليتامى أناشيدهم للزمانِ المماطلِ . ها أنذا في
سمائي البعيدةِ مصغٍ لهم . قد يسمّونني خاطفَ الطائراتِ ،
المخرِّب ، قد يهدرون دمي لِلُّصوصِ الذين سطوا في النهارِ
على منزلي
سَلَبوا . نَهبوا . اغتَصَبوا . خَرَّبوا . نَكَبوا . غرَّبوا .
أقبلوا . قتلوا . ذهبوا . أكلوا . شربوا . فضَّةٌ . ذهبٌ .
حنطةٌ . عنبٌ . مارسٌ . رجبٌ ...... تعبوا واستراحوا أخيراً
على جثتي الوادعَهْ
لتبتديء الحربُ في الجهة الرابعَهْ
ليبتديء السلمُ في الجهةِ الرابعهْ !

سأغتسلُ الآنَ . ماءُ الحصارِ شحيحٌ (دمي يا دمي يا غسولي
الأخير !)
تفجَّرْ . تقطَّرْ . تخثَّرْ . تحجَّرْ . تبلورْ . تمرَدْ . تجدَّدْ . تجمَّدْ .
تصعَّدْ . تمدَّدْ . تألَّمْ . تكلَّمْ . تعلّمْ . تقدَّمْ .
دمي يا دمي ، يا غسولي الأخير
دمي يا دمي ، يا صباحي الأخير

سأغتسلُ الآنَ ! لا بدّ من مطرٍ . سيقومُ الكسيحُ ويشفى المريضُ
ويُعشبُ قبري الطويلُ العريضُ



سترجعُ من حيثُ جئتَ ينمُّ عليك الحنينُ وتُبرقُ عيناك بالسخط ما شأننا نحن يا صاحب الرعب والشهداء ؟
سترجعُ من حيثُ جئت ، لعلّك زيّفت أوراقَك ، اجتنبتك البواخرُ والطائراتُ وعلقَّ صورتك المخبرون على جُدُر الحافلات وفي الشاحنات وفي القاطرات جميعُ الخطوط تخافك ، يا سيّدي جرِّب الدائرهْ
وحاولْ لدى النقطة الشاغرهْ
لعلَّ المثلّث يُعطيك زاويةً للهدوءْ
وبين المربّعِ والمستطيلِ بِقاعٌ مهيّأةٌ للُّجوءْ
فحاولْ وحاولْ
لماذا تجادلْ ؟

وكيف تُقاتلْ ؟

سترجعُ من حيثُ جئت ، ومعذرةً سيدي ، لا نريدُكْ

مزوَّرَةً يا صديقي نقودُكْ

وخاوٍ بريدُكْ

ومُعدٍ وجودُكْ

فمعذرةً لا نريدُكْ !

ـ وايْ ؟ لاما ؟ پيركيه ؟ پوركواه ؟ پاتشيمو ؟ لماذا ؟

ـ لهذا !

وفود القتله

زهرةٌ في جمجمهْ

ويدٌ مبتورةٌ ، في مزهريّه

آه يا زنبقتي السوداء

أَخفي كاتمَ الصوتِ قليلا

واختفي بين الشموس المعتمه

إنني أدفن في غرفة نومي

آلةَ القتلِ

وأُلقي في مجاري المدن الكبرى
قتيلاً وقتيلاً وقتيلا
طافياً فوق السماء المبهمه
غارقاً في الأبديه .
آه يا زنبقتي المشتعله
جهزتْ مائدتي ،
بعد قليلٍ ،
تقرعُ الباب وفودُ القتله ..

أ . د . ٩

لا شأنَ لي هناك

مغفرةً

مغفرةً

يا أيُّها الملاك !

الرأس

الى قاعِ هاويتي
هذه الكأس أجرعُها
واحداً أحداً لا سوايْ
وخلف الثمالة أقذفها
هذه الكأس
من قاع هاويتي واحداً أحداً

جبلته العواصفُ

واستنزفته العواطفُ

حشرجةً تترجّعُ

غرغرةً تتقطّعُ

ما بين أُفق خفيضٍ وناءْ

وأصعد

أهبط

أخرج

أدخل

محتشداً بالصواعق

منفجراً في خُطايْ

على رأسيَ الطيرُ

ما بالها الريح

ليست تُريح

ولا تستريح

ولا تأخذُ الطيرَ عن هذه الرأسِ

(رأسي إناءُ الجُنون !)

سأقذفها الآن من قاع هاويتي
كوكباً للفضاءِ الزُجاجيِّ
أَقذفُها صيْحةً
(فانكسرْ يا سُكون !!)

ن ■ ٣٤

تَسقطُ عن سريرها عاريةً
يَسقطُ عن صهوته الأخيرهْ
تسقطُ عن درّاجةٍ ناريّةٍ
يسقطُ في النهرِ
(غداً يقذفه الشلالُ
للتمساح في البُحيرة الكبيرهْ)
تسقطُ عن حذائها

يسقطُ عن سريرِه
وتُطبق السماءُ فوقَ الأرض
ليلاً
يُطبقُ البحرُ على الجزيره ..

س . ل . ٣

جلستْ صامتةً

في رُكن مقهاها المسائيِّ

هناكَ انتظرتْ سبعةَ أعوامٍ

وما عاد إليها

سقطَ الفنجانُ من بين يديها

وعلى مصطبة المقهى النظيفهْ

رسمتْ قهوتُها

وجهاً من البارودِ والوردِ

وعُصفوراً يُغني

وقذيفه ..

إلى بيته ..

يسقطُ الرأسُ عن جسمِهِ
وَهْوَ يمشي إلى بيتهِ
يَسقط الجلدُ عن لحمِهِ
وَهْوَ يمشي الى بيتِهِ
يسقطُ المنكبانْ
وَهْوَ يمشي الى بيتِهِ
يسقطُ الصدرُ والحوضُ والركبتانْ

وهو يمشي الى بيتِهِ
يسقطُ الكاحلانْ

....

(الحذاءُ الذي لَفَظَتْه الدروبْ
الحذاءُ الذي مزَّقَتْهُ الخياناتُ
واستنزفتهُ الحروبْ
ظلَّ من بعدِهِ
ظلَّ يمشي .. إلى بيتِهِ .)

لقاء في الغربة

في المساءِ البعيدِ : قلبي وعيني

بينَ ما يُضمرُ الرحيـلُ ، وبيني

في المساءِ البعيدِ : كـأسا نبيـذٍ

وانـبهـــارٌ يــرفُّ في راحــتــينِ

قلتُ: أهلًا، أنا انتظرتُ طويلًا

قلتِ: أهلًا، يا صُدْفَةَ الغُـربتين

وضحكْنـا من لـوعـةٍ . وبكينـا

في مساءٍ يهوي عـلى جثّتينِ ..

س ـ ٧

أعبئُ الرياحْ
في معطفي الأسودْ
لأنني أُريد أن أجيءَ في الصباحْ
غاليَتي
موعدُنا أعلى
وأرضُنا أبعَدْ ..

آخر أسمائي

على رصيفِ البحرِ تجلسينْ
رِجْلاكِ في الماءِ
تَسيلُ تحتَ الرملِ أعضائي
لو كنتِ تعلمينْ
أو كنتِ تَعلمينْ
أنكِ لي .. آخرُ أسمائي !

.. وآه !

نزولاً من الحُلمِ في الحُلمِ
مغسولةً بدماءِ مُحبّيكِ تأتينَ
ناضجةً كسماءِ الحرائقِ
وادعةً تُقبلين
ورائعةً تَذْهبين
نُزولاً
من الحُلم في الحلمِ

هل كنتِ لي طيلَة الوقتِ

هل كنتِ ما كنتِ

هل أنتِ ما أنتِ

ناضجةً كعذابي نُزولاً

من الحُلم في الحلمِ

لا توقظيني بصمتِكْ

ولا توقظيني بصوتكْ

رأيتُ الذي كُنت لا أَشتهي أن أراهْ

نُزولاً من الموتِ في الموتِ

لا أَشتهي أَن أراهْ

نُزولاً ..

وآهْ !

ف ـ ٢

ستضيقُ نافذتي
ويتَّسعُ الجدار ..

أوروبيون !

يخرجونَ مساءً لنُزهتهم في الحدائقْ
ألكلابُ المدلَّلةُ الناعمهْ
حَولَهم
والصغارُ النظيفونَ
يلتصقونَ بفترينةٍ حالمهْ
يخرجونَ مساءً

يَرُدُّونَ بالانحناءِ التحيةْ

ويضيقونَ (في عفَّةِ العُنجُهيّه)

بالضجيجِ البدائيِّ

من أُسرةٍ أجنبيّه

يخرجونَ مساءً لنُزهتهم في الحدائقْ

يدخُلون صباحاً

فُصولَ الحرائقْ ..

إنسلاخ

لم أجدْها في كومةِ اللَّحْمِ

قالوا

أبصروها في أولِ القصفِ

كانتْ خلف كيس الرملِ الأخيرِ

وقالوا

أبصروها في خندقٍ من بعيدٍ

تتشظَّى وكانَ بين يديْها وجهُ طفلٍ

وقيل كانت تقاتلْ

لم أجدها ،

عدوتُ أبحث ليلاً

من زقاقٍ إلى زقاقٍ

سألتُ الناسَ عنها

قالوا سمعنا هديلاً

ورأينا زنابقاً وسنابلْ

لم أجدْها

ناديتُ

دوّى ندائي في زوايا المخيّم

احتضنتْني ملءَ رُعبي قذيفةٌ

ثُم عادتْ نثَرَتني على رُكام المنازلْ

ومع الفجرِ أقبلتْ لتراني

لم تجدْني

وكانَ بين يَديها

وجهُ طفلٍ ميّتٍ

وبضعُ قنابلْ ..

العولة

من هُنا كانَ ولوجي

وهنا كان خُروجي

ألكناريُّ الذي رفَّ على نَخلةِ أحزاني

احتَرقْ

قلتُ لا بأسَ

سأمشي عارياً من سقسقاتِ الفَجر

مخموراً بإيقاعِ خُطايْ

قلتُ لا بأسَ

جناحايَ .. يَدايْ

وسمائي بيدُ أجدادي

ولا بأسَ

جوادي من ورقْ

إيه لا بأسَ

وسيفي من ورقْ

قلتُ أمشي

رُبَّ شيخٍ يُرشدُ المدلجَ عند المفترقْ

ربَّ نارٍ

رُبَّ نايْ

في وهادِ الرحلةِ الأخرى

أرى الهولةَ

لن تخدعني عيناىَ

لا .. إنّي أراها

هولة المُفترقِ الغامضِ :

نابانِ على صَدْغَيْ حمارِ الوحشِ

سكينٌ من الفضّةِ بَين الأنفِ والجبهةِ
عينانِ على الخُفِّ
فَمٌ في زعنفهْ
وأراها ،
هولةَ المفتَرَقِ الواضحِ
بين الجُثث الملقاةِ فوقَ الأرصفهْ
وجليد الصوتِ خَلف الشفةِ المرتجفهْ
وأراها وتَراني
إنها ترقصُ من حولي
تُناجيني
وتُغويني بسحرِ الشَّجَنِ الآفلِ
ما بين المراثي والأغاني
إنها تأخذُني زوجاً !
وَداعاً
يا وِلاداتِ زَماني وَمَكاني ..

ل . غ . م

غادَرَ المنزلَ ، كالعادةِ ، فجراً
للعملْ .
شَهقتْ زوجتُه في مركزِ الشرطةِ :
أعدَدْت لهُ الشايَ
أزاح الحبقَ الأخضرَ
عن غُرّته السوداء
حَيّاني ، وَرَدَّ الأغطيه

فوقَ أطفالِ الليالي البِيضِ
ناغاني قليلا
واختفى في شاله الأحمر
ممتدّاً إلى الباب :
« سأمضي للعَملْ » .
شهقَتْ زوجتُه مذعورةً
واستغرَبَ الجيرانُ :
حيّانا ، خفيفاً واضحاً كانَ
ولا ضوءَ ولا ظلَّ
استقلَّ الباصَ في الفجرِ :
« سأمضي للعملْ » ..
رجلٌ من نرجسِ الوادي
وَسُمَّاقِ الجبلْ
راح .. لكن ما وصلْ
عاد .. لكن ما وصلْ
رجلٌ ما ،
غادَر المنزلَ فجرا ..

مغفرةً

لي وردةٌ هناك

مغفرةً

مغفرةً

يا أيها المَلاك ...

كـم

منزلٌ من عَشَنٍ

في قريةِ الروحِ

وِلاداتٌ بلا ملحٍ

على أرصفةِ الطُّحلب والفولاذِ

كَم دبّابةً تختزلُ الوردَةُ ؟

كَمْ باباً إلى الموتِ ؟

وكم طائرةً يختزلُ العصفورُ ؟

كم قلباً تُريد البنتُ من خاطبها المُدنفِ ؟
كم ليلاً يودُّ الشاعرُ المجنونُ
كي يفرغَ من قافيةِ « الباءِ »
ألا يهدأُ عندَ الحُبِّ ؟
كم ذاكرةً تكفي لإيقاظِ قتيلْ ؟
كم شهيداً تطلب الأرضُ ؟
وكم جيلاً سيمضي بعد جيل
ليعودَ الرجلُ الذاهبُ فجراً للعملْ ؟

ك . ب . ج

أرجِئي قتلي قليلا
يا صبيّه
أنذا أقرأُ مخطوطةَ سِحْرٍ غجريه
عندما أَفرغُ منها
سوفَ آتيك فتيًا
وجميلًا وقويًا
وسأَرجوكِ : اقتُليني
بهدوءٍ ورويّه !

س ـ ١١

جُمجُمتي في باقةِ الجُنديّ
ووردتي
في قبرِهِ الطريّ

ص . د . م

طلقةُ الرحمةِ قُدّاسي الأخيرْ

أنا ناديتُ

أجيروني أجيروني

ولكن ، لا مُجيرْ

سقطتْ طائرةُ الروحِ على باديةِ الوهمِ

وضاعتْ في خفايا القاعِ

مرساةُ الضميرْ

طَلقة الرحمةِ .. آ.. آ.. خ !

ر . د . ٩

هَيِّئوا أُنشوطَتي

لن ينفعَ الإعدامُ شنقاً

هَيِّئوا أُنشوطتي .. وانتظروا

سقطتْ جمجُمتي عن عُنُقي

أَبصرتُها تهوي إلى الوادي مع الجَزْرِ

استعَدْتُ الصرخةَ الوحشيّةَ الأولى :

ارجعي ! لا تتركيني

أنا ، من غير جُنوني

بائسٌ يَنْتَحِرُ !

د . م . ٤٨

مَنْ رآه ؟

خلفّ نظارته السوداء

موصوداً بشَمع الخزيِ

في نَعْليهِ عينانِ

وأنفٌ ناتىءٌ من جبهتهْ

من رآه

ضاحكاً في لعنتهْ

ميِّتاً في ضحكتهْ

من رآه

زاحفاً خلفَ خُطاه .

ر . س . م

آدميٌّ من حَجَرْ
وردةٌ من لَحم إنسانٍ
وجسمُ امرأةٍ عاريةٍ
يسقُطُ من جرفٍ
إلى نَهْرِ شَرَرْ
شبحٌ يشنق قطاً بوتر
ويُغني امرأةً زرقاءَ حُبلى
بصبيٍّ وقمرْ ..

كيف ؟

كيف أعطيتكِ عُنواني

ورقمَ الهاتف السريّ

كيفَ انهرتُ ما بين يديكِ ؟

مُدركا أنك جاسوسةُ أعدائي عَلَيَّ

كيفَ أسلمتُ يقيني عُنُقَ شَكي

وأنا أعلمُ أَنِّي ضائع

منّي إليكِ

ضائعٌ منكِ إليّ

كيفَ أعطيتُك وجهي

ولساني ويديّ

كيفَ أبكي ؟

كيف أبكي ؟

م . ت . ه

هُهُنا يجتمعونْ
هُهُنا يجتمعُ العشّاقُ ليلاً
وهُنا يحتفلُ القنّاصُ
يَغْشَى حُزْنَهم
يغتالُهم ، في كلِّ ليلٍ واحداً
في كلِّ ليلٍ واحداً
لكنَّهم لا يَنْقُصُونْ !

ر . د . م

رجلٌ أبيضُ

في معطفِهِ الأسودِ

يمضي ساخطاً من مقصفِ الميناء

لا تتبعُه السيدةُ الخضراءُ

يأتي النادلُ المبخوعُ :

ـ « هذا شالُهُ .. »

تأخذه السيدةُ الخضراءُ في صمتٍ

وتَمضي لمراحيضِ النساءْ
تُهرع الشرطةَ فيما بعدُ للمقصفِ
(إنَّ امرأةً أُخرى تدلّتْ
جثةً مشنوقةً بالشالِ ، في المرحاضِ)
لونُ الشالِ .. أحمرْ !

ق ـ ص ـ م

سيداتي آنساتي سادتي
يَفْخَرُ السيركُ
بأن يعرضَ للجُمهورِ فنانَتَهُ الحسناءَ
في قفزتِها الكُبرى إلى الموتِ
فَحيُّوها
جميعاً صفّقوا
ها هيذي تقفزُ

من حبلٍ إلى حبلٍ
إلى
إضبارةٍ في الأمم المتّحدة ..

ف . د . ر

وردةٌ روحُك

فازرعْها على راحَتِك الأرضِ

ووزِّعْ جسمَكَ الحارقَ في جِسْم الوطنْ

هذه التربةُ رَحْمٌ

لا كَفَنْ .

القبلة

قَبَّلتْ عُنُقي
نَبَتَتْ وردةٌ في العُنُقْ
لَفظَتْني البيوتْ
رَفَضَتْني الطُّرُقْ
قبَّلَتْ عُنُقِي
نَبَتَتْ شوكةٌ في العُنُقْ
أشتهي أن أموتْ .

ه ـ ر ـ م

أين نحنُ الآن
ما الوقتُ
وما هذا المكان ؟
ما الذي يحدثُ أو لا يحدُث الآنَ
ألا نَأمَة إنسيٍّ ؟
ولا صورةُ جنيٍّ ؟

ولا الأفعى ـ العَصا

الطيرُ ـ الحصانْ

أين نحنُ الآن ؟

ما الوقتُ ؟

وما هذا المكان ؟

س ـ ١

ذاهبٌ في آخر الأمرِ
ولا حولَ ولا قُوَّةَ من حولي
ولا حولَ ولا قُوَّةَ فيّ
ذاهبٌ
مِنّي - إليّ.

ق - ل

لا تُعدِّي لي العشاءْ
زَوجَتي
يا حكمةَ الحبّْ
وميزانَ النساءْ
لا تُعدّي لي ثياب النوم
عُمري سهرةٌ للفجرِ
ما بين المقابرْ

ومعي تُفاحتي الحمراءُ

والماءُ الذي يَمْتاحُهُ من زَمزَمٍ

جَدِّي المُهاجِرْ

ومعي الخنجرُ

والنايُ

وقلبي ..

س - م

حَيَّةٌ في الماءِ

عُصفورٌ على القرميدِ

في جسم القتيلْ

لم تزل سبعُ رصاصاتٍ

وعِطر الياسمينهْ

لم يزل فَخّاً لأبناء السبيلْ

بَين أنقاضِ القُرى

ليلاً

وأنقاض المدينهْ .

ق ـ ٨

ـ من الذي بالبابْ
أيتها الشيخوخه ؟
ـ لَعلَّهُ ، لَعلَّهُ الشبابْ !

ع . ن . م

رؤساءٌ ، طلعوا من سَلِّ حاوٍ
ومُلوكٌ ، خرجوا من كُمِّ ساحرْ
والذي تُبدعُهُ دودةُ قزٍّ
ليس يكفي جُبَّةً !
والعُريُ حائرْ
وأنا أُسقطُ جواً
وأنا أُسقطُ براً
وأنا أسقط بحراً
جُثّتي ترسمُ في الماءِ دَوائرْ .

التانغو الأخير في بيروت

أشتهي أن أرقصَ الآنَ
اعزفوا لي
فارسُ التانغو يُريدُ امرأةً
في كومةِ القتلى ثلاثون امرأهْ
هَهُنا سيدةٌ
ماتتْ قُبيل البَسْمةِ المُبتَدِئهْ
إنها رائعةٌ في مَوتها الناضجِ

يا سيّدتي الجُثةَ

هل لي أن أَنال الرقصةَ الأولى

أَنا اخترتُك نوراً

للبيوت المُطفأة

والقلوب المُطفأة

أَشتهي أن أرقصَ الآنَ

اعزفوا لي

هذه السيدةُ الجثةُ لي

والرقصةُ الأولى

اعزفوا لي

أَشتهي أن أرقص الآنَ

اعزفوا لي ..

قصيدة حب

سقطتْ طائرةٌ في البحرِ

لم يَنْجُ سوايْ

لم أُصدِّقْ جسدي الطافي على الماءِ وحيداً

لم تُصدِّقني يدايْ

قلتُ قد ينقذني بحّارةُ الليلِ القُدامى

رُبَّ قُرصانٍ يمدُّ الحبلَ

قَد يعبر كولومبوسُ ،

من يدري ؟

أعالي البحر حُبلى بالأساطير

وقد تعشقُني حوريّةُ الأعماق

(كم يُسعدني أن أقضيَ الباقي من العُمر

على شُرفة قصرِ الطُّحلب الفخْمِ

ومن حَولي رعاياي

الملايينُ من الأسماك !)

ما هذا الضجيجْ ؟

أنذا أسمعُ موسيقى وَلَغْطاً

في أعالي البحرِ

فلأمضِ

انظُروا !

مَوجةٌ من سمكِ القِرش تُغني وتهيجْ

وانظُروا سيدةَ الحفل البهيجْ

أُنظروا ،

تلك عروسُ القرشِ في الحلْقَةِ

ما أجملها !

ها هيذي تُبصرني

تَدنو

أنظروا من حولها فَوجَ الذُّكور

سُخْطهم عالٍ

يَغارون عليها (إنني أفهمهم !)

ها هيذي تدنو إليَّ

ويهيجون بحقدٍ دمويّ

ليس لي بعد خيارٌ ،

أن أكونَ القاتلَ الفائزَ أو يُقضى عَلَيّ

إنني أُشهر يأسي ويديّ

واحدٌ يهوي إلى الأعماق

مصروعاً بلكمهْ

وبأسنانيَ واحِدْ

وبأسنانِ القصائدْ

وبرُوحي المدلهمّهْ

وبحَرفٍ

وبنأمهْ !

إنني أنتصرُ
وَهْيَ تَدنو .. فانظُروا
إنها تُسلم جسمي جسمَها
إنها تَحمل منّي
وتُغنّي
وأُغني
ويصيرُ البحر : إسمي واسمَها !

....

سقطتْ طائرةٌ في البحرِ
لم ينجُ سوايْ
لي أعالي البحر
قيثارٌ
ونايْ ..

أ . هـ . ه

في أعالي البحارْ
وردةٌ ضائعهْ
بينَ ماءٍ ونارْ
في أعالي النهارْ
وردةٌ طالعهْ
من كُهوف الأسى والدمار

ن ـ ١٤

لم تزل تستدرجُ القلبَ
إلى نبضتهِ الأولى
تَنَاثَرْ
أيها القلبُ
على أعقابِ « هاجَرْ » !

س . أ . ٨

يَخرجُ القتلى الى الشارعِ ليلاً

يَحملونَ الوردَ للأحياء

من يُبصرهُم

بينَ رصيفِ الذاكرهْ

وخُطانا العابرهْ

من يَرى الوردَ الذي يَنثُرُه القَتلى

صحوناً طائرهْ ؟!

ب ـ ١٤

عبثاً
أنّي مشيتْ
تسقطُ الاوراقُ عن أغصان جسمي
وتُغطّي دمَ أحبابي على كل رصيفْ
عبثاً ينطفُ بالماوردِ حُلمي
عبثاً .
فصلُ الخريفْ
قادمٌ أنّى مضيتْ

ع - ١٣

مطرٌ للخوفِ
هل يَتركُ لي المدُّ ضفافا
شجرٌ للحزنِ
هل تسقط أوراقي جِزافا
ثمرٌ للموتِ
دلّتني على الدربِ شراييني
متى أُبلغُ قلبي
ومتى أُبلغُ يافا ؟

ق ـ ت

قطرةٌ من دَمِ عيسى
سقطتْ من جَفْنِ مريمْ
يا دَمي ، قُمْ وتكلّمْ
غُصّتِ الأرضُ مجوسا !

ص . د . ٢

يسقطُ الجسرُ على النهرِ
تَصيح امرأةٌ حُبلى
« أبانا في السمٰوات ! »
ويَبكي أحدُ الركّاب :
« من يوقِفُهُ هذا القطارْ
إنّنا نغرقُ
من يوقفُه هذا القطار

إنَّ لي في البيتِ حُلماً وامرأةْ
وعلى ظهريَ أطفالٌ صِغار
تَركوا خُبزتَهُم للقطَّة الشقراء
جنبَ المدفأةْ .. »

ف ـ ٣٧

نازلٌ من قُصور الشَفَقْ
بدويٌّ صغيرْ
شاعرٌ
صاحَ صَيحَتَهُ واحترقْ
نازلٌ
ذاتَ ليلٍ مَطيرْ
طالعٌ في الحبقْ ..

و - ل - غ

أرجئي موتَ النيازكْ

يا سماءَ الأمم الصُّغرى

وكوني ساحةَ العشبِ أمام الأمم الكبرى

وَكُوني شاطئَ الأعرافِ

في أَقصى الممالكْ

أرجئي عَهْد سُقوطِ الغبطةِ ،

امتَدِّي قليلاً

وأَضيئي بدمي بعضَ المَسالكْ !

عبد الرحيم محمود

في الليالي المقمرهْ
يَخرجُ القتلى الى الساحاتِ
أفواجاً
يَمُرون ببابِ القاتلِ النائمِ
« مَن أنتُم ؟ »
تصيحُ ابنتهُ الحلوةُ
في كابوسِها الورديِّ !

« من أنتم ؟ »

يمرّونَ .. يمرّونَ

وفي الفجرِ

يعودونَ زُهوراً

بينَ عُشب المقبرهْ .

.....

هذه الليةُ لي

أخرُجُ وحدي

عالياً في قامتي المنكسرهْ

قمرُ القتلى يُناديني من القبرِ

ليُعطيني قصيده

عن فلسطينَ جديده

أنجبت أبناءَها في « الشجرهْ »*

.....

هذه الليلةُ لَكْ

---

* الشجرة : قرية فلسطينية استشهد عبد الرحيم محمود دفاعاً عنها

يا حبيبَ الشمسِ والزيتونِ

يا مُرتَجلَ الروحِ بِلاداً

ورياحاً

ونجوماً

وفَلَكْ

هذه الليلة لكْ

من « عنبتايَ »* إلى « رامَتِك »* امتدّتْ

نعياً لي ولَكْ

وجحيماً للذي يقتُلُني كي يقتلَكْ

.....

لم تصدّقْ

لا ولا صدّقتُ

لم يقتُلْكَ .. لا

شُبِّهَ للقاتِلِ

لم يقتُلْك لا

---

* عنبتا : قرية عبد الرحيم محمود

* الرامة : قرية سميح القاسم .

لن يُقتَلَ الصبّارُ في لحميَ
والريحانُ في لحمكَ
لن يُقتل صوتُكْ
صيحةُ الميلادِ
مَوْتُكْ !

ع . ر . س

لا تُنزلوا الستارْ
في هذه الأوتارْ
بقيةٌ من روحْ
للمشهدِ المفتوحْ
لا تُنزلوا الستارْ
في هذه الجروحْ
بقيّةٌ من نارْ !

فالس للغارة الجوية

أشعلي الضوءَ

افتحي النافذةَ الأخرى

هديرُ الطائراتْ

قادمٌ

من أُفقٍ ما ، ضائعٍ بين الجهاتْ

إنها توشكُ أن تقصفنا

فلنرقصِ الآنَ على أَلحان موزارت الرقيقهْ

لم تزلْ من هذه الدنيا

دقيقهْ

يا الّتي أعبدُها في لحظةِ العُمرِ

انهضي للفالس

أعطيني يداً ناعمةً

في لحظةِ الموتِ الرشيقهْ

أشعلي الضوءَ

هديرُ الطائراتْ

يَسقطُ الآنَ نجوماً

ويُضيءُ الذكرياتْ ..

ك - س - ر

آن للزيتونةِ ـ الحلمِ
على سفْحِ الجبلْ
أن ترى أدمُعَها السوداءَ
زيتاً للمصابيحِ
وزهواً للأراجيحِ
وكُحلاً للمُقَلْ
آن للحنطةِ أن تنضجَ

في مرج ابتهالاتي الفسيحْ
آنَ أن ينزلَ عن صُلبانِهم
حُبي
وشَعبي
والمسيحْ ..

ق ـ ٤ ـ ل

واطيءٌ سَقفي

ثقيلٌ حَجَرُ الحُلم

يدايْ

سُلَّمٌ للحربِ والسلمِ

إذا عشتُ

يُغني الولدُ الشاطرُ في الصفّ

ويَخضرُّ على شُباك أحزاني الحبقْ

وإذا متُّ ،

تَصيرُ الأرض مزماري

وقيثاري

وتندى شفتايْ

ودمي يُشعل بالنشوةِ أزهارَ الشَّفَقْ

.....

واطيءٌ سقفي

وعالٍ شَغَفي

يا امرأتي الحُبلى

استردِّي جُثتي في الحربِ والسلمِ

ورُدِّي لي مراثيّ

وردّي لي أغانيَّ

وخَلّي جسدي العاري

مَلاذاً للعصافير الغريبهْ

.....

واطيءٌ سَقفي

وجُدراني كئيبهْ ...

ق ـ ه ـ ر

ينبغي أن يعرفَ الموتُ
شُعوري نحوَهُ
لا بُدَّ أن يكشف كُلُّ وَرَقَهْ
تَمّت اللعبةُ
لا بأس علينا
تمت اللعبةُ
إنْ شئْنا وإنْ نحنُ أبيْنا

تمت اللعبةُ

فلنمضِ إلى أشيائنا المحترقهْ

وشعوري نحوَهُ

فأسٌ إذا شاءَ

وإن شئتُ

شُعوري .. زنبقهْ !

لا أستأذن أحدا !

لا أستأذنُ أحداً !

بهدوءٍ ورويّة

أقطفُ وردةَ حُزني الجوريّة

وأُغنّي

لحبيبةِ جسدي المسبيّة

لا أستأذنُ أحداً !

بهدوءٍ ورويّة

أقذفُ حجري

في وجه الكرةِ الأرضيّة

وأغنّي

لعواصف سُخطي في ليلِ البشريّة

لا أستأذنُ أحدا !

أقضمُ تفاحةَ موتي

وأُغني وأُغني

للحريّة !

النشوه

قَبَّلَتْني أميرتي ، في خُشوعِ
للغرامِ المُقدَّسِ الممنوعِ
قَبَّلَتْني مبهورةً ، ثُمَّ شدَّتْ
مِرْوَدَ الكُحلِ ، بارداً ، في ضلوعي
يا حُبوري !
أميرتي قتلتْني

بين حُلمي ووردَتي وشُموعي
قَتَلَتْني
وخنجري في حَشاها
وَسَقَطْنا .. بلا أسىً ودُموعٍ ..

وردة الصوان

يا التي أسقطُ في ليلِكِ نجماً
من سماءِ الأبديّة
وردةَ الصوّانِ ، حيّةْ
ونديّةْ
وطريّةْ
يا التي أعبدُ رجليكِ
امنحيني عَبَقاً من وردةِ الصوّان

آمنتُ وآمنتُ وآمنتُ
اجعلي جُمْجُمَتي
- من قَبْلِ مَوتي - مزهريّة
وردةُ الصوّانِ ، حَيَّةْ !

ذ . ه . م

يسقطُ الآنَ ، من الرَّحْمِ الخُرافيِّ

صبيٌّ وصبيّةْ

تَوْءَما ماءٍ ونارْ

يَسْقطان الآن ،

من رَحْم العُصور الهمجيهْ

يسقطان الآن :

ليلٌ ونهارْ ..

قمر ما

من رأى قمراً من حديدْ
ساقطاً في اللهبْ
من رأى قمراً من خشبْ
ساقطاً في الصديدْ
من رأى قمراً من حجرْ
طالعاً ..
من رأى قمراً
طالعاً من جُذورِ الشجرْ
من رأى قمري ؟

ر . غ . م

يصعدُ البحرُ الى الصحراء
تَطفو جُثتي البيضاء
منديلاً على الموجِ البعيدْ
أيُّ قرصانٍ يُريدْ ؟
أيُّ قرصانٍ يُريدْ ؟

الملك

ملكُ الزوبعهْ

قادمٌ إنهُ قادمٌ دونَما أشرعهْ

يستحمُّ بماءِ الزمانْ

حالماً بالعَروس

واعداً بالطُقوس

إنه قادمٌ دونما مهرجانْ

ملكُ الزوبعهْ

قادمٌ

آه ، هل تسقط الأقنعهْ ؟

البرد

يسقطُ الثلجُ طوالَ الليلِ

من يَكْسوكَ يا هيكليَ العظميَّ

من يكسوكِ يا أَجنحةَ الوديان

مَنْ ؟

مَن يردُّ المعطفَ المسروقَ

عن مشجبِهِ العالي

ومَنْ ؟

يسقطُ الليلُ

وتصطكُّ طوالَ الثلجِ أسنانُ الوطنْ !

ق . ف . ر

أدورُ حولَ الكُرةِ الأرضيّهْ
مُكلَّلاً بهالةِ النيرانِ والدماءْ
وأنشُر السماءْ
في فَلَكِ الكواكبِ الآليّهْ
يا أيها الفضاءْ
ها أنذا أُنشد بين السُّفُنِ الكونيّهْ
أغنيتي السوداءْ

ها أنذا

يغدُرُ بي صاروخْ

ها أنذا

أسقط في جزيرةٍ صَمّاءَ صوّانيّهْ

تجهلها الجُغرافيا

يَعرفها التاريخْ ...

ق ـ د

أخلفَ الواعدُ وعدَهْ
والتي أعبدُها
تضطجعُ الآنَ على أكفانها البيضاء
آتيها بوردهْ
يهبطُ العطرُ على أهدابها حُلما
ويَسري بين نهديها دَماً
ترتعشُ السُّرَّةُ في شهوتها

يختلج الردفان

آتيها بقبلهْ

تسقط النجمةُ في الساحةِ

تمتدُّ على الشبّاكِ فُلَّهْ

والتي تعبُدُني

أضطجعُ الآنَ على أكفانها البيضاء

تأتيني بوردَهْ ..

فراقية

حَبَقُ الشرفةِ ذابلْ
يا حبيبي عُد قليلا
لكَ في ثغري حساسينُ
وفي صدري بساتينُ
وفي حضني أيائلْ
يا حبيبي
عُد فتيّاً وقويّاً وجميلا
لكَ في عينيَّ أشعارٌ

وأقمارٌ

وفي كَفَّيَّ أسحارٌ

وفي رَحْمي أصائلْ

يا حبيبي لكَ في شَعري سنابلْ

وعلى خاصرتي لوزٌ وكُمَّثْرى

وفي ساقيَّ خيلٌ وخلاخيلُ

وسهلٌ وجداولْ

يا حبيبي عُد قليلا

عُد كثيرا

لكَ أعددتُ نبيذاً وزُهورا

لكَ أعددت السَّريرا

لك هيَّأتُ على قارعةِ الأمواتِ

أرضاً وسماءً !

وصغاراً ومنازلْ

يا حبيبي عد كثيراً عد قليلا

حبقُ الشرفةِ .. ذابلْ .

الصاعقة

ذِراعانِ من حجرٍ

تَخرُجان ببطءٍ من القبرِ

قُبَّرةٌ تتنفَّضُ في بِركةِ الدمِّ

شاحنةٌ عسكريّةٌ

أُغني لك الآن

يا طلقةً توقظُ القلبَ من وهمِهِ

ويا صرخةَ الطفلِ في رَحْمِهِ

أُغني لك الآن مقبلةً في شظيّهْ ،

ذِراعين من نرجسٍ

تَطلعانِ ببُطءٍ من الوحلِ

أُغنيةً لا تُغَنّى

وصاعقةً تتألّقُ في مزهريّه !

الغزاة

خَرَجُوا من نواويسهمْ

مائلينَ بأحزانهم

صامتينَ على الغيظِ

مستغلقينْ

خَرَجوا

ينطفُ الكِلسُ من عظْمِهم

وتنزُّ على الخُطواتِ الكليلةِ

رائحةُ الموتِ والياسمينْ

صادَفوا في رُكامِ المَقابرِ طفلاً بلا أبوينْ

أكلوهُ وصلوا على جثتَينْ

خرجوا من نواويسهمْ

سقطوا في كوابيسهمْ

لأني ...

وَمِنْ لفظةٍ لمْ أقُلها
ومن لحظةٍ لمْ تقُلني
سألتمسُ العُذرَ ،
من تعبِ القنطرهْ
ومن عُشبةٍ طلعتْ وحدَها في السبيلْ
على صَخَبِ الليلةِ المُمطرهْ
وسوسنةٍ صوّحتْ ظمأً

والمدى سلسبيلْ
وألتمس العذرَ من سأمِ المَجزرَهْ
ومن جُثةٍ سقطتْ فجأة ،
من حقيبةِ قاتِلها ،
واستوتْ نخلةً فوق أرضِ الجليلْ
وألتمسُ العذرَ من نرجسِ المقبرهْ
ومن طلقةٍ مزّقتْني
ومِن صَلْبَةٍ أخطأتْني
وألتمسُ العذرَ
من رَجُلٍ عابرٍ في الطريقْ
ومن طفلةٍ ميته
وتفاحةٍ ميته
وأغنيةٍ ميته
على زَفرةِ الفَيَضانِ وفي فَرْقَعات الحريقْ
والتمسُ العذرَ
من غرغرات الغريقْ
وألتمسُ العذرَ منكم ومنهم

ومنكَ ومنها

ومنّا وَمنيً

لأنّي

وألتمسُ العذرَ من نارِ حُزني

ومن ماءِ حُزني

وألتمسُ العذرَ من إنْسٍ مَوْتي

وميلادِ جِنيً

وألتمسُ العذرَ من كل شيء

ومن كلّ شكلٍ

ومن كلّ ضوء

ومن كلّ ظلٍّ

وألتمسُ العذرَ منكُم ومنيً

لأنّي ..

حنين

لم يَعُدْ لي رجاءٌ يُؤَمَّلُ من لحيَتي
سقطتْ تحتَ نصلِ الرياحْ
شعرةً شعرةً
سقطتْ عند باب الصباحْ
لم يَعُد لي رجاءٌ يُؤَمَّلُ
في وطني - غربتي
أنذا عائدٌ من يديّ

عائدٌ

لا إليّ

عائدٌ في غُبار اللقاحْ

نخلةٌ في الخليجِ تحنُّ إلى نخلتي

وأنا عائدٌ في نضوج الرُّطَبْ

فاسمعي صيحتي

واشهدي خطوتي

يا بلاد العربْ !

قدر

أنذا خرجتُ عليكَ في أشلائي
فاخرُجْ إليّ بكفكَ السوداءِ
واحشد فلولَك ، طاقةً عقليَّةً
واكبحْ جُنوني ، واصطلِمْ أهوائي
واضربْ بكونكَ ذرَّةً من ذرَّةٍ
واحزبْ على أُلفي ضراوَةَ يائي
يا أيّها الموتُ الجبانُ

أنا هُنا

قَدَرٌ يَحومُ على مَدارِ هَباءِ

لَكَ آخرُ الأسماءِ

واسمُكَ واحدٌ

وتعددتْ كيف اشتهتْ أسمائي !

ل ـ ن ـ ٢

لن يعودوا الى هذه الناحيهْ

لن يمرّوا هنا

عَبروا مرةً وانتهى كلّ شيءْ

لن تَرى أحداً

مرةً ثانيهْ

الطريقُ الذي سلكوهُ إلى قمة الهاويهْ

بَرْقَةٌ سطعتْ دونَ ضَوْءِ

وانتهى كُلُّ شيء .

المكانُ الذي استوطنوه

مَنافي المكانْ

منزلٌ من دخانْ

سقفُهُ نَجمةَ الشَّجَنِ الكابيهْ

والردى ، حَجَرُ الزاويه

إنكسِرْ

وآنتثِرْ

وانتشِرْ

واندثِرْ

في كواكبك النائيهْ

آه لا تنتظرْ

لن ترى أحداً

لن يعودوا

انتهى كل شيء ..

العنقاء

السنونوةُ احترقتْ

هكذا احترقتْ

واستوتْ في الرمادِ الموازينُ :

نارٌ وريحٌ

ونارٌ وماءٌ

وماءٌ وريحْ

أيّها الوافدونَ من الخَشَبِ احترِقُوا
في صليب المسيحْ
السنونوّة احترقت
والرمادُ القليلُ انتعافُ قليلْ
بين مهدِ الوليدِ ولَحد القتيلْ
قُلتُ هذا الجناحُ الربيعْ
أيّها الناسُ قُلت اسمعوا جُثَّتي
قُلتُ
ما من سَميعْ
صَيحتي
في البراري تضيعْ
والسنونوَّةُ احترقتْ
آه واحترقتْ
حفنةً من رمادْ
أوغلت في الرُّقادْ
آه وانتثرتْ
آخ واندثرتْ

نارُ فينيق أُغنيةٌ ساخرهْ
قلتُ ، ما انطلقتْ
السنونوّةُ احترقتْ
من هُنا تبدأُ الآخره ..

ق ـ ٤٨ ـ ص

سأنتعلُ البحرَ ثانيةً

وأسيرُ الهُوينا

إلى كوكب في الأقاصي

مَليكاً مُهاناً

سأنتعلُ البحرَ

مُنحنياً بالمعاصي

وأمضي ثقيلَ الخُطى

واحداً أحداً

غايتي أخطأتْ غايتي

سقطتْ رايتي

سقطَ البوقُ والطبلُ

وانكمشَ الوحلُ

أعناقُنا لا رؤوسْ

صُراخ المواليدِ نطعْ

نشيجُ اليتامى فؤوسْ

سأنتعلُ البحرَ

لا خيرَ

لا شرَّ

يا كوكباً في الأقاصي

لعلَّ لديكَ خَلاصي !

قصيدة التوبة

وها أنذا بعد موتٍ كثيرْ

أعودُ اليكِ قليلا

ثقيلَ الخُطى عاقلا مستحيلا

أعودُ بلا أسفٍ (تذكرينَ ، رحلتُ بلا أسفٍ)

الدخانُ الذي كنتُ

يلتفُّ شالاً على كتفِ اللهِ

حَبْلاً على عُنْقِ لصٍّ صغيرْ

ويلتفُّ هالةَ نورٍ على القلبِ

سرّاً يؤرّثُ في الروحِ ناراً

ويُطلق غزلانَه في براري الكآبةِ

ها أنذا بعد موتٍ أعودْ

على جبهتي وَصْمتي

والمشيبُ الذي وَخَط الصدغَ كفّارتي

بعد موتٍ طويلٍ أعودْ

لماذا ؟ لمن ؟ كيف ؟ لا تسأليني

ولا تقتليني ،

أعودْ

وحيداً كما كُنتُ

حيّاً كما متُّ

حُرّاً كئيباً

شقياً سعيدْ

أعود اليكِ

لأبكيَ بينَ يديكِ

وأصمتَ بين يديكِ

وأرحلَ ثانيةً في فضائي القريب البعيدْ .

سأعترفُ الآن ،

لم يَبْقَ منّيَ سوى نخلتي المائلهْ

ولم يبقَ مني سوى هذه البذلة الحائلهْ

وأعترفُ الآنَ ،

لم يبقَ منكِ سوى وردةٍ يَبِسَتْ في كتابٍ قديم

وأغنيةٍ ذابلهْ

أُحبكِ ؟

لا تسأليني

ولا تقتليني

أنا الحبُّ ! لا أعرف الحُبَّ

لا علمَ لي بكنوز بحاري

ولا بثماري

مكثتُ طويلاً على الأرضِ

أعترفُ الآنَ

لم أطأ الأرضَ

لم ألمسِ الأرضَ
أدمنتُ خَمرَ التشردِ
عاشرتُ تركيةً في البرازيل
جامعتُ صِرْبيةً في فرنسا
عشقتُ على شاطيء الكَنجِ روسيةً
وعلى قِمَم الألب ضاجعتُ هنديةً
وانكفأتُ إليكِ
لأقرأ مُستقبلي في كتابي القديم
وما من كتابٍ سوى راحتيكِ ..

هُدوءٌ رزينٌ على المائدهْ
وكأسانِ مضطربانِ
ونحنُ قَريبانِ جداً
بعيدانِ جداً
ولا شيء منا
ولا شيء فينا
ولا شيء غير زهورٍ من الظلِّ

بينَ أصابعنا الباردهْ

خواءٌ يُضيءُ خواءاً
ويُظلم قلبانِ في آخر الصيفِ
تُبرّتانِ تموتانِ من حسرةٍ
إنَّ كفَّ الإلهِ التي نثرتْ قمحَها للجياع
وأغدقَتِ الوردَ
كفَّ الالهِ التي ذكرتْ
نسيتْ أننا بعضُ هذي الخلائقِ
من أين جئتُ ؟
وهل كنتِ
هل كنتُ ؟!
لا تسأليني
ولا تقتليني
خواءٌ يُضيءُ
وتُظلم في الفجرِ عاصمةٌ
تَستديرُ الجماهيرُ ساخطةً

فجأةً تهدأ الماكناتُ

وتجمدُ في الطرق العجلاتُ

كسوفٌ ثقيلٌ يَحُطُّ على شُرُفاتِ المنازِلِ

عاصفةٌ في الجحيم

صدوعٌ على ناطحاتِ السحابِ

انهيارٌ يُطيح بمبنى الاذاعةِ

تسقطُ من شاشةِ التليفزيون

مطربةٌ تتأوهُ في لوعةٍ

طَقْمُ أسنانِها الذهبيُّ

يحطُّ كطائرةِ الهيليكوبتر في الكأسِ

كيف تُرى أشربُ الآن ؟

لَنْ أقربَ الكأسَ

لا تشربي !

تلكَ رأسيَ في كأسِكِ

انتبهي

إنَّنا ميتانْ

وما من مكانٍ لنا

غير هذا المكانْ ..

وداعاً

وداعاً

ومن بعد موت كثير أعود إليكِ قليلا

ثقيلَ الخُطى ، عاقلاً ، مستحيلا ..

إلى ميخائيل غورباتشوف

جَيّدٌ أنْ ملكتَ ابتعاداً عن الصيغ المستعادَةِ والنظرةِ الواحدهْ
جيدٌ أنْ خرجتَ من الصُّوَرِ الجامدهْ
جيدٌ جيدٌ أنْ سلكتَ الطريقَ القصيرَ إلى رأسِ نبعِ الحياهْ
لا تُريدُ الشِّفاه
لا أُريدُ الشِّفاه
نحنُ عاصفةُ الفكرةِ الخالدهْ

خَرَشُو ! خَرَشُو !

يا رفيقْ

خَرَشُو ! أَنْ ملكتَ اقتراباً كثيراً إلى شمسنا الطالعه

أبداً شمسُنا الطالعهْ

عَبْرَ هذا الطريقْ

لا طريقْ

غيرَ هذا الطريقْ

جيدٌ يا رفيقْ

أَنْ منحتَ الشّعارْ

قلبَهُ ، وانتزعتَ بوردتكَ اليانعهْ

وجهَهُ المُستعارْ

لا تُريد الغُبار

لا أُريد الغُبار

جيدٌ جيدٌ .. نحنُ نورُ الليالي وسرُّ النهار

نحنُ أشواقُنا الرائعهْ .

هل تراهْ ؟

إنَّ لينينَ يحدجكَ الآن مغتبطاً
راضياً عن رضاه
هل تَراه
جبهةً تتألقُ عاليةً في سماءِ الجباه
لا يُريد الشفاهْ
لا يُريد الغبارْ
إنه واثقٌ من رُؤاهْ •
واثقٌ من خُطاه
لم يزلْ حالماً بانقلاب المَدارْ

جيدٌ خَرَشُو يا رفيقْ
هو هذا الطريقْ ...

النبوءة الأخيرة

تَجْتازُ باباً سابعاً
لتموتَ في فرحٍ وصمتِ
وأنا أكونُ هناكَ
مُبتهجاً رَسُوليّاً بموتي

ويكونُ أطفالي
وزوجةُ غُربتي
وظلامُ بيتي

وقصيدتانِ شقيّتان

وفرحتانِ بدونِ صوتِ

نَجتازُ باباً سابعاً

ونعودُ

شرّيرَيْن قدّيسَيْن

من نارٍ وزيتِ

لكَ أن تقولَ الروحَ وحدكَ

لم أقُل غير الجسدْ

وحدي

وكلّ الراسفينَ العابرينَ بلا عددْ

لَكَ أن تقولَ

فلا أحدْ

يُصغي هناكَ

ولا أحدْ

يُصغي هنا

ما من أحدْ

يُصغي

تكلّمْ كيفَ شئتَ

من الوريدِ إلى الوريدِ

ومن يديكَ إلى يديَّ

ومن يديَّ إلى الأبدْ

لجبيننا نارُ الجنونِ

وحكمةُ الموتَى لنا

ولجيدِنا .. حَبْلٌ المَسَدْ !

نجتاز باباً سابعاً

ونعيشُ موتاً رائعاً

ونموتُ قدّيسين شرّيرين

فاكهةً مُحرمةً

ونُبعثُ مُضغَتين صغيرتين

هنا الرمال هنيهةً

وهناكَ دهرٌ من زَبَدْ ..

الى رفائيل ألبرتي

لَكَ البحرُ

مَدْريدُ شاطىءُ قلبكَ

ها أنتَ تَعدو فتيًا

وراءَ عَروس الطحالبِ

ها أنتَ

سيِّد مملكةِ القاعِ

تَطفو وتغرقُ ما شئتَ

ها أنتَ
تطفو وتغرقُ
حُراً جميلًا قويّا .

تَخُورُ على جُزُرِ الروحِ ثيرانُكَ الزُّرقُ
قاتمةٌ هذهِ الأرضُ
قاتمةٌ يا رفيقي
ولم يزل الطفلُ يسألُ عن بيتِهِ في الطريقِ
وما من طريقٍ .

لَكَ البحرُ
للبحرِ أُغنيةٌ منكَ
كم لطَّخَتْها المكائدُ بالدمِّ
إسبانيا لم تزلْ في دماءِ الولادةِ
يا صاحبي
ماتادورُ الزوابعِ يُغمدُ في عُنْقِها سيفَهُ
غامساً في دمي نِصفَهُ

تاركاً لغُبارِ المَدَى نصفَهُ
يا صديقي

لَكَ البحرُ
صحراءُ لي
ولنا يا رفيقي
سنونُوَّةٌ عند بابِ الشُّروقِ ..

هـ - و - ٢ - ي

فِي قَليلٍ تَبَقَّى لَهُ ، يتكاثَرُ
هذا الأميرُ الطريدُ
يُباهي بأسمائِهِ
تَتَوهَّجِ بينَ كراريسِ أطفالِهِ
مَنْ رآه ؟
في قليلٍ تَبقَّى لهُ
شامخاً شامخاً

نِصفُه بَشَرٌ

والإلهْ

نِصْفُهُ ... مَنْ رآه ؟

في قليلٍ تبقّى لَهُ يتجدَّدُ

هذا الفقيرُ السَّعيدُ

يُمارسُ أعيادَهُ الباقيهْ

عالياً صاخباً

بَينَ أحلامه الحافيهْ

مَنْ رآه ؟

نِصفُهُ بَشَرٌ

والإله

نصفُهُ

مُمْسِكاً بيدٍ بَدأهُ

مُدرِكاً بيدٍ مُنتَهاه !

س - س - ٨٧

حَجَرٌ يسقطُ في البئرِ
على كفٍّ يدي يسقُط نَيْزَكْ
ما الذي أسقطَ عنّا يا أبي
مُلكَ أبيك القرمطيّ ؟
ما الذي أسقَطَ عزَّكْ ؟
حَجَرٌ يَسقطُ فيّ
نيزكٌ يَسقطُ في مهدِ الرسولِ العربيّ

آنَ لي أن أستردَّ اليومَ

سيفي وجوادي

آن لي أن أستعيدَ الآنَ

أنصاري وحُلمي وجهادي

يا أبي أسْقِطْ من الموتِ إليّ

حَبْلَكَ الدامي

انتَشِلْني من سُقوطي وفسادِي

وانتشلني من سُقوطي وفسادي

وَسُقوطي

وفسادي .....

س ـ ٥ ـ ص

رِضا الوالدينِ لَنا ،

والخُشوعُ طويلاً لأضرحةِ الأولياء؛

وقِسمَتُنا جَنّةُ الأتقياء؛

وأنتَ لكَ النارُ .. والكستناء؛

لِماذا إذَنْ تَزدَرينا

وتَقتُلُ فينا

زَكاةَ الرِضا

وصلاةَ العِشاءِ

وصومَ العَشاءْ

لماذا ؟

س . ع . د . ل

مِثلما غادَرَتْهُ القبائلُ من ألف عامْ
واحداً أحداً للرمادْ
هُو ذا ماثلٌ في بقايا كلامْ
وشظايا بلادْ
سيّدٌ آفلٌ في إطارْ
سمَّرَتْه يدٌ هائلهْ
فوقَ تلكَ الأغاني وهذا الجِدارْ

آفلٌ

يخرجُ الآن من صَدَأ الصورةِ الحائلهْ

ألجدارُ يميلُ قليلاً

تئنُّ الشُّقوقُ وتدخُلُ زلزلةٌ قاتله

وقليلٌ من الضوءِ ينحلُّ في الجبهة المائلهْ

سيّدٌ آفلٌ

ينطفُ الخَلُّ من ذَقنِهِ

تَنْثُرُ الملحَ أهدابُهُ ، أُمّاً قاحلهْ

ذابلٌ ذابلٌ

تحتَ أحلامهِ الذابلهْ

سيّدُ الريحِ والشمسِ والغيمةِ الممطرهْ

والدُ الكَرْمَةِ المُثمرهْ

وحفيدُ البَساتين والقنطرهْ

آفلٌ آفلٌ

يَسقُطُ الآنَ في حَمَأ المُدُنِ الآفلهْ ..

صرخةً من عَذابِ السُّموِّ

على أُذُنٍ سافلهْ !

السيد من ؟

يَتقمَّصُ قنبلةً يدويه

ينفجرُ عميقاً وبعيداً

ينفجر لكل شظيه

إسمٌ من أسماءِ البشر الحُسنى

إسم من أسماء الشهداء

قنبلة - روحٌ

لا يخرجُ في الأمواتِ

ولا يدخلُ في الأحياءْ
روحٌ
ينبح مجنوناً في المقبرة الليليّه
يتعثَّر ما بين العتمةِ والضوءِ
ويسقطُ في الريح
روح
ينبحُ
يصطكُّ على شاهدةٍ مائلةٍ
ويسحُّ ثقيلاً
تحتَ ثياب العُرس وأكفانِ الموتى والنشرات الجويّه
تتساءل عنهُ أكاليلُ الورد الذابل
وهياكل
أهلي العظميّة
ويئن غلامٌ وصبيه :
« السيد من ؟ »
« هذا السيد من ؟ »
ويُغمغمُ ذَكَر البوم لأنثاه :

رَجُلٌ نائمٌ في الفضاءْ
يسقط الشعرُ من رأسِهِ
خصلةً خصلةً
يسقط الشعر عن حاجبيهْ
شعرةً شعرةً
يسقط الشعر من شاربيهْ
رجل نائم في أغاني الهوى والشبابْ
وليالي العذابْ
رجل مثقل بالسرابْ
يسقط الشعر من لحيتِهْ
نائمٌ
يسقط الدمعُ والدمُّ من بُؤبؤيه
رجلٌ
في فِراش الخواءْ
نائمٌ
يسقط اللحم من جثتِهْ
رجلٌ

مومياءْ ..

وتقول الجنيَّة :

يَضحكُ في شَرَهٍ ويموتُ ويُبعث

معتدل الطولِ ثقيل الأهداب

رجل في منتصف العمر

وسيمٌ حين يغني

وقبيح حين يوزع صُورَ القتلى

لوكالات الأنباء وللصحف اليوميّه

رجلٌ - أفعى

جُرَذٌ - رجلٌ

يتكاثر في الانقاض

ويمتدّ ويلتفّ نباتاً شيطانياً

حول الكُرةِ الارضيهْ

يبكي في شَرَهٍ

ويميلُ إلى السُّمْنةِ

ما بين بطين القلب الأيسر

والنعلِ اليُمنى

تسألُ عَنهُ وتجيب امرأةٌ حبلى :

« هذا السيد من ؟ »

والسيد منْ ؟

ربطةُ عُنْقٍ حائلة اللون

يجذبها عُشّاق القمم الشاهقةِ

ويجذبها الغرقى في برَك الدمْ

وهُواة كراسي الحكمْ

أحياناً ، ينبلج جبين السيد منْ ؟

عن رفّ سنونو

أحياناً تندف شفتاهُ الدفلى

أحياناً تقذف رئتاهُ الوحلا

ويوزّع صُور القتلى

والسيد من ؟

شخص مجهولً

لا يعرف أحد من أهل الأرض متى جاء

وكيف ، ومن أينْ !

يتكلمُ لغةً لا يفهمها أحدٌ

ويحب الأطفالْ

ويُقالْ

السيد من ؟

يحيا ليلاً ويموت نهاراً ، ويقال ...

السيد من ؟

نَبضُ الصحراءِ وهمهمةُ الأدغال

ذاكرة أُخرى للريحِ الشرقيه

زُغرودة عُرسٍ

مرثيّه

والسيدُ من ؟

ظاهرة جيولوجيهْ

يتنفسُ ويغني في لغةٍ لا يفهمها أحدٌ

ويئنُّ على بابِ الله :

تنتابُني المُدن التي سقطتْ وتقرعُ باب بيتي جثةٌ أخرى .

أقوم مهرولا . بردٌ وليلٌ باهظُ القدمين . تبكي الريح خلف الباب .

أصرخ : من هناك ؟ ولا أحدْ .

سأنام والأموات في الطرقاتِ
ينتحبون من خزيٍ ومن جوعٍ . وكيف أنامُ والاكفانُ غيمٌ
ماطرٌ شربَ البلدْ ؟
حسناً سأخرج للشوارع عارياً . وأصيحُ بالموتى السُكارى
القادمين من المخيّم خلسةً . وأصيحُ رُبَّ هُنيهةٍ تُصغي إليَّ
من الأبدْ .
تتنابُني المُدن التي شيدتُها نملًا بأحزاني . أدندن في الميادين
الفسيحةِ بالطقاطيق القديمة مُشرعاً طربوش « عبد الحيّ »
للحسنات .
أعمى مغربياً قادهُ الثأرُ القديم الى رصيفٍ عامرٍ بالقصف
والجثث الجديدةِ . هل هُنا بيروت ، لا أمٌّ يكفنها وَلَدْ ؟
بيروتُ أم عمانُ لا يدري القتيلُ ، لعلها الشامُ القديمةُ !
ربما بغداد أو مرّاكش . اختلطتْ عليَّ خرائطي اختلطتْ فلا
يافا تلوح ولا صَفَدْ !
ويصيحُ بي قلبي : انتظرني أيها المسكون بالترحال !
أزجره وامضي
أجتازُ قناصاً الى لغم

ويُفضي بي الى ما ليس يُفضي

وألمُّ أطرافي على عَجَلٍ . طريقُ الموت سالكةٌ . قُبيل الليل

ميعادي هناك حبيبتي أُغتُصبت أمام شقيقها . وهناك أزهارٌ

من البارود أقطفُها بلا إذن وأركض في حديقةِ منزلٍ هجرتْهُ

أسرته حديثاً (إن أعمال التجارة في البرازيل اختيارٌ جيدٌ .

والقنص في صحراءِ أستراليا مُباحٌ . تلك فرصتنا الجديدة ،

لا حسودَ ولا حَسَدْ) .

عينُ الصوابِ وعينُ قناصٍ . سأختارُ النكوصَ إليَّ . إن

كرومَ أهل الكهفِ سائبة تكاد تجف من دَنَفٍ ومن لهفٍ على

وَعْدٍ وَعَدْ

وأكاد من عَطشٍ أموتُ . فما عليَّ اذا قطفتُ من العناقيد

الأخيرةِ قطرتين لرحلتين : من السقوطِ الى السقوط

ومن نهايات الخيال الى نهايات الجَسَدْ

الآن

أهبطُ

فَرسخين

الى

العَدَمْ

وأدقُّ أوتادي . وأنصبُ خيمتي البيضاء بين الرعد والكدمات

في زنزانةِ التعذيب . أمضي عطلة الويك إند في مُتنزَّهي

السريّ . خلفَ البنكِ والثكناتِ والصحفِ المثيرةِ والممالك

والأممْ .

والآن أصعدُ فرسخين من العدم

لأطلَّ

رُبَّ صبيةٍ سلمتْ . ورب فتىً . أُحاول أن أزاوجَ بين مرثاةٍ

وأغنيةٍ . وبين دمٍ ودمْ

ولعلَّ زوجاً لم يزلْ من كل جنسٍ . يفتدي الآتي من الماضي

لعلَّ مدينةً سقطتْ تثوبُ لرُشدها في كوخ صيادٍ وقُبلهْ ..

ولعل في جسدِ القتيلِ هذه الصحراء نخلهْ ..

والسّيد من ؟

شبحٌ حَمَلْتُه من الدنيا وإليها طائرةً

شبح سمعوه يغني :
أقلعتْ طائرةُ الروحِ عمودياً ،
لضيق الأرض .
لم يبقَ مطارٌ شاغرٌ في العالم السفليّ
لا مرشدَ
لا حارسَ
لا ضوء
ولا طيارَ
لا شيءَ سوى هذا المسافرْ
أقلعتْ طائرة الروحِ
الى أين ؟ ومن أينَ ؟
تكلمْ أيها الموت المغامر !
سقطتْ طائرة الروحِ
هُنا البرقُ
وفي منعطف الليل سحابَهْ
سقطتْ . في أي بحرٍ ؟ وعلى أيةِ غابَهْ ؟
فِرَق الانقاذ لم تعثرْ على عُلبتها السوداء

لم تفلح مساعي لجنة التحقيقِ في الحادثِ
سرٌّ غامضٌ
إضبارةٌ غامقةٌ أخرى
ملف مغلقٌ
خُطبةُ تأبين
وأزهارٌ كآبهْ .
سقطتْ عن أمها تفاحةٌ
يا مستر نيوتن .
سرٌّ الجاذبية
كامنٌ بين عصيري وقشوري
وسقوطُ البشريهْ
واضحٌ ما بين جلدي وضميري
واضحٌ بي ، غامضٌ في لجنةِ التحقيقِ
قلبي عُلبتي السوداء
هل في فرق الانقاذ من يسمعُ صوتي
مُقلعاً من هذه الأرض
عمودياً

وحيداً في الفضاء الشاسع الممتد
من موتٍ لموتِ ؟
وَيُقال :

السيد من ؟
توأم سيِّدنا آدمْ
طاردَهُ رُؤساءُ الإنس
وأهدر دَمَهُ مُلوك الجِنْ
والسيد مَنْ ؟
توأمُ سيدنا آدَمْ
مطلوبٌ للشرطةِ
في كل مخافر هذا العالَمْ
مطلوب
حَياً أو مَيتاً
مطلوب
WANTED
מְבֻקָּשׁ

حيّاً أو مَيتاً
WANTED!
for being me and you and him
for being millions, being one and being none

والسيّد من؟
مطلوب
מְבֻקָּשׁ

حيّاً أو ميتاً

מבקש
כי הוא הבחין
והבין
גם חש
כי הוא נאבק
ודרש
וְזעק
ולחש
וטען

السيّدُ مَنْ؟

المسافر

أغنيتي تسمَعُني والطقسُ جميل

قَدَمي ثابتةٌ والريحُ رَخاء

لُغتي ساريتي والبحْرُ وديع

لكنْ ،

لا سُفُنَ لدَيّ !

شجري يتدلّى بالثمر الناضج

سُفُني جاهزةٌ
ها هم بحارةُ روحي
يبتهلونَ لميعادِ الإقلاع
طيّبةٌ طيّبةٌ أنباءُ الأرصادِ الجويّة
لكنْ ،
لا بحرَ لديّ !
البحرُ . السفُنُ . البحّارةُ
طوعِ بناني
لكنْ ،
كيف أُسافرُ .. من دون زمانٍ ؟
أينَ أُسافرُ .. من غيرِ مكانٍ ؟!

خ = ٢

البرقُ في خَطَرْ
والرعدُ في خطرْ
كونوا على حَذَرْ !

قد يلجُ السحابُ في السحابْ
ويغمرُ الضبابْ
بيوتَكُمْ وزرعَكُمْ
كونوا ..

وقد ينحبِسُ المَطَرْ
كونوا .. على حَذَرْ !

شايلوك

بِرَبْطَةِ إيف سان لوران

وبدلةِ كاردان

وبايْب

بكوفيةٍ وعِقالٍ

بشابكا

بسومبريرو .. أو بالسّلندرْ

يجوبُ العواصمَ حُرّاً طليقاً

ويبكي بدمعِ ضحاياهُ

يبكي .. ويَخفى .. ويظهَرْ

ويضحكُ للرِّبْحِ في بورصةِ الموتِ

شايلوك !

يُجيدُ اللغات

ويُتقِنُ كل الجهات

يحاصرني .. ويدي لا تطالْ

وصمتي اعتقالٌ ، وصوتي اعتقالْ

ويطلبُ موتي .

وأسألُ :

« في أيِّ بنكٍ توظِّفُ موتيَ .. شايلوك ؟ »

ولكنَّ شايلوك

يُطالبُني بالسؤال !!

س ـ س

فيِ الطريقِ الطويلِ إلى نَخْلَةِ الباديه
أستريحُ قَليلًا
وأُصغي لدقّاتِ قلبي الثقيلْ

يا هديرَ دمي ، أيُّها الرائعُ
أأنا التابعُ
أم تُراني الدليلْ ؟

وأنا .. نخلتي النائية
أم تُراني الطريق الطويلْ ؟!

م . ه . ن

ملائكةٌ مُتعبون
يحطّونَ ليلاً على كَتِفَيَّ
ويبكون
تسقُطُ أوراقُ قلبي على الأرصِفه
ويسقُطُ قلبي
خريفاً فقيراً ،
على عتباتِ الفصولِ
وأعيادها المُترَفَهْ !

نافذة أخرى

إفتحي نافذةً أُخرى / انزعي عن قمرِ الروحِ الستائرْ
السنونوّةُ تدنو منْ زُجاجِ الشرفةِ المُغلقَةِ / الغرفَةُ
تكتظُّ بموتٍ راكدٍ / قومي إلى الريحِ القريبهْ
وافتحي نافذةً أُخرى لقُدّاسِ البشائرْ
للسنونوّةِ
هذا الحجرِ الصاعدِ من موتي

إلى سدرةِ ميلادي المَهيبهْ
إفتَحي نافذةً أُخرى على قَلبي
وقُومي وافتحي نافذةً أُخرى على شَعبي
وأعراسِ المقيمينَ لميعادِ المنافي والمهاجرْ

يا ابنة الشمس التي تطفحُ زيتوناً وتفاحاً ولوزا
إفتحي قلبي على اللُّغزِ
دمي فَك بسحرِ الحُبِّ لغزا
واقذفيني حجراً
من شهوةِ الزيتِ وأحزانِ المعاصرْ
مثقلاً بالفرحِ الباكي أجوبُ السجنَ
مأخوذاً بأسرارِ الولادهْ
مُشْبَعاً بالدمِ والعطرِ التُرابيِّ أُصلي
للمواليد من الموتِ
لأسرابِ الحساسينِ
لأشجارِ البساتينِ
لأزهار الإرادهْ

وأُصلّي وأصلّي
جَسَدي المعبَدُ،
والمشيُ على أرصفةِ القُدسِ .. عِبادهْ !

قصيدة الانتفاضة

[رسالة الى غزاةٍ لا يقرأون !!]

تَقدَّموا تقدَّموا !

كلُّ سماءٍ فوقَكم جهنَّمٌ

وكلُّ أرضٍ تحتَكم جهنَّمُ

تقدَّموا

يموتُ منّا الطفلُ والشيخُ

ولا يستسلمُ

وتسقُطُ الأم على أبنائها القتلى

ولا تستسلمُ

تقدَّموا
بناقلاتِ جُنْدِكُمْ
وراجماتِ حقدكمْ
وهدِّدوا
وشرِّدوا
ويتِّموا
وهدِّموا
لنْ تكسِروا أعماقَنا
لن تهزموا أشواقَنا
نحنُ قضاءٌ مُبْرَمُ
تقدَّموا
طريقُكُمْ وراءكم
وغَدُكُمْ وراءكم
وبحرُكم وراءكم
وبرّكم وراءكم
ولم يزلْ أمامَنا
طريقُنا وغدُنا وبرُّنا وبحرُنا

وخيرُنا وشرُّنا
فما الذي يدفعكم من جثةٍ لجثهْ
وكيف يستدرجكم من لَوْثَةٍ
للوثهْ
سِفْرُ الجنونِ المُبهمُ
تقدَّموا
وراء كلِّ حجرٍ كفٌّ
وخلف كل عشبةٍ حتفُ
وبعدَ كلِّ جثةٍ فَخٌّ جميلٌ مُحكَمُ
وإنْ نجتْ ساقٌ
يظلّ ساعدٌ ومعصَمُ
تقدَّموا
كلُّ سماءٍ فوقَكم جهنمٌ
وكلُّ أرضٍ تحتكم جهنمُ
تقدَّموا
حرامكم مُحَلَّلٌ
حلالُكُم مُحرّمُ

تقدَّموا

بشهوةِ القتلِ التي تقتُلُكم

وصوِّبوا بدقةٍ لا تَرْحَمُ

وسدِّدوا للرحم إن نُطفةً من دمنا

تضطرمُ

تقدَّموا

كيف اشتهيتم واقتلوا

قاتِلُكُم مُبَرَّأ

قتيلُنا مُتَهَمُ

ولم يَزَلْ ربُّ الجنودِ قائماً وساهراً

ولم يزل قاضي القضاةِ المجرمُ ..

تقدّموا

لا تفتحوا مدرسةً

لا تُغلقوا سجناً

ولا تعتذروا ، لا تحذروا ، لا

تفهموا

أوَّلُكم آخِرُكم

مؤمِنكم كافِرُكم

وداؤكم مُستحكِمُ

فاسترسلوا

واستبسلوا

واندفعوا

وارتفعوا

واصطدموا

وارتطموا

لآخِرِ الشوطِ الذي ظلّ لكُمْ

وآخرِ الحبلِ الذي ظلّ لكم

فكلُّ شوطٍ وله نهايهْ

وكلُّ حبلٍ وله نهايهْ

وشمسُنا بدايةُ البدايهْ

لا تسمعوا / لا تفهموا / تقدّموا

كلُّ سماءٍ فوقَكم جهنّمٌ

وكلُّ أرضٍ تحتكم جهنّمٌ !!

لا خوذةُ الجنديّ

لا هراوةُ الشرطيّ

لا غازكم المسيل للدموعْ

غَزّةُ تُبكينا

لأنها فينا

ضراوةُ الغائبِ

في حنينِه الدامي إلى الرجوع

تقدّموا

من شارعٍ لشارعٍ

من منزلٍ لمنزلٍ

من جثةٍ لجثةٍ

تقدّموا

يصيحُ كلُّ حجرٍ مُغتَصَبٍ

تصرخُ كلُّ ساحةٍ من غَضَبٍ

يضجُّ كلُّ عَصَبٍ :

الموتُ .. لا الركوعْ

موتٌ .. ولا رُكوعْ !!

تقدّموا ..

ها هو ذا تقدَّم المخيمُ

تقدّم الجريحُ والذبيحُ والثاكلُ

والمُيتَّم

تقدمت حجارةُ المنازل

تقدمت بكارةُ السنابلْ

تقدّم الرُّضَّعُ والعُجَّزُ والأراملْ

تقدّمت أبوابُ جينين ونابلس

أتَتْ نوافذ القدس صلاةُ الشمس

والبخور والتوابلْ

تقدّمتْ تقاتلْ !

تقدّمتْ تقاتلْ !

لا تسْمعوا

لا تفهموا

تقدّموا

كلُّ سماءٍ فوقَكم جهنَّمٌ

وكلُّ أرضٍ تحتَكم جهنَّمٌ ..

الشرابة

خيوطُكِ ، أمْ شراييني ؟
سألتُكِ
لا تُجيبيني !

المئذنة

رسولٌ على جبلٍ
غادرتْه القبائلْ
وحيداً
بعيداً
وضلَّت على شفتيه الصلاةُ
وأهوتْ على قدميه الرسائلْ
رسولٌ

يجادلُ من لا يُجادِلْ

ويهدي الأواخرَ

يهدي الأواخرَ

لكنْ .. إلى ما أضاءَ الأوائلْ !

رسولٌ

مُقاتِلْ !

ومئذنةٌ في فضاء الشهادات

من .ألف جيلٍ الى ألفِ جيلْ

قتيلاً على منكبيه قتيلٌ

على منكبيه رسولٌ قتيلْ

رسولٌ

على جبلٍ

غادَرتْهُ القبائلْ ..

وحيداً

بعيداً

الشاهدان

الشرقُ والغربُ : لا أهلٌ ولا سَكَنُ
ضاقتْ بكَ الروح ، فاخرُجْ أيها البَدَنُ
والماءُ والنار : ضدٌّ الضدَّ لازَمهُ
ولا فكاكَ ، إذن .. فليقضيَ الزمنُ .

السجلات

وهي ثلاثةٌ وثلاثون ..

السجل الثالث والثلاثون

سُنْدسٌ طافحٌ بالتلاوات

نهرُ اخضرارٍ يفيضُ على ضفَّتيهِ :

يدٌ للنهارِ ولليلِ يَدْ

أزلٌ لا يُحَدْ

هكذا ، أزلٌ واحدٌ للثنائية العائده

دورةٌ خالده

قد يكون الأبدْ

هكذا ،

قد يصير العددْ

مفرداً بين ما ينبضُ القلبُ في سرِّهِ

والذي تُعلن الشاهده !

سُندسٌ طافحٌ بالتلاوات ،

غادَرني المقرئونْ

هكذا .. احداً صمداً من قرونْ

كم وُلدتُ وكم يا قميصي وَلدتُ

وكمْ كنتُ كي لا أكون ..

خلوتي جسدٌ سابعٌ

سبعةٌ سُبلي

يدخل الخارجونْ

ربثما يخرج الداخلونْ

وأنا . واحدٌ في التلاوات

منتشرٌ في الكيانات

مُتّحدٌ في الظنونْ
قائمٌ في زمان الوجود
زائلٌ في الحدود
واضحٌ مبهمٌ
واضحٌ
سندساً للتلاوات
غادَره المقرئونْ ..

لم تزل مهجتي في يديْ
يا اختلاط العناصِر أطبقْ عليْ
لم يزل قدري في فمي
سِلْ كما شئتَ
أو لا تسل يا دمي
لي انبهارُ التلاوات في لحظة الكشفِ
مني المراد وفيَّ المريدْ
جسدي حكمتي السابعه
والضلال الوحيدْ

جسدي السابعُ

ما الذي ظلَّ من ثمرات الوصال

في أقاصي الخيال

ما الذي ظلَّ للروح كي يستزيدْ ؟

أيها الأولُ التابعُ

المرشدُ الضائعُ !

ههنا الأرقُ المستهامْ

صبوات الغرام

ههنا

ذهبَ المؤمنون

ذهبوا من قرون

والمقيمُ .. الإمامْ !!

السجل الأول

متى تكونين لي ضيقي ومتّسعي

في ضجعةِ الموت ؟ أم في رجعة المتعِ ؟

وهل تكونين ، والأكوان ذاهلةٌ

عن غيبها لحضورِ الجوعِ والشّبعِ ؟

يصوِّحُ الوردُ . لا عينٌ تروق به

ولا يفتّح غير الشوك والوجع

ألا تكونين ؟ كوني واجمعي بدني

من المنافي حطاماً غير مجتمع

تعبتُ مني . وممن جئتِ بي معهم

فهل تجيئين بي - كي أستريح -

معي ؟!

السجل الثاني

بسم الله

أترعتُ يديَّ بقمح الحضرة

قلبي المعمود

يطفح بالوجد الأزليّ .. وآه

هل يطفيء ظمأي

كوثرُ مولاي الجسد (العابد والمعبود) ؟

السابقُ جسدي
واللاحقُ جسدي
مسكوناً بمباهج تقوايَ الأبدية
والموتُ ـ تقيَّة

خُذ عنّي قمصاني الباليةَ
تعال وغيّبني ما شئت
غلالةُ روحي ناصلةٌ
تابوتي فاصلةٌ

ها أنذا ،
موجودٌ في الزائلِ
موجودٌ في الموجودْ .

السجل الثالث

يصلّي :

تداخلْ . تداخلْ . ألا أيها الشكُّ

بين اليقين وبين اليقين

تداخل بما سأل الأولون :

ـ متى يبدأ الروحُ ؟

ـ هل ينتهي في القميص الجسدْ ؟

يصلّي :

ألا أيها الشكُّ خذ بيديّ قليلاً
وخذ عن ضميري حبل المَسَدْ
ألا أيها الشكُّ
كيف توزّع أبناءها الأرضُ
في آخر الدهرِ ؟
كيف يكون الحراكُ ؟
وكيف يصير السكون ؟
وهل يسألُ الآخرون :
ـ متى البيتُ ؟
ـ كيف الولاداتُ ؟
ـ أين اللواعجُ ؟
ـ هل مرَّ أسلافُنا في طريقٍ سوانا ؟
يصلّي ..
يصلّي .

السجل الرابع

ذهبوا . واطفأت الرياحُ سراجي
فلمنْ يظلُّ البابُ دونَ رتاجِ ؟
ولمنْ أمدُّ يدَ الغريقِ ؟ مصافحاً
غـرقى بلا أيـدٍ على الأمـواج

ذهبوا . بلى . ذهبوا وذاب وميضُهم
ذوبَ الشرارة في الخواء الداجي

وأقمتُ (لو انّي أقمتُ !) صَبابَةً

نسكتْ لـدى داءٍ بغيرِ عـلاج

يـا حكمة الجسـدِ البهيِّ تعلّلي

بشكـايـة المحتـاج للمحتـاج

هي رحلةٌ من رحلةٍ مـوصولـةٍ

ضجت زماناً في الزمانِ السـاجي

وأنا المقيمُ (أنا المقيمُ ؟) وهذه

رايـاتُ وجـدي جلّلتْ أبـراجي

هيّأتُ في بيتي الحرام مناسكي

فمتى يعودُ من المتى حُجّاجي ؟!

السجل الخامس

ألسبيلُ إلى واحة الآس والزيزفون

رفضتْهُ الخطا

نقضتْه العيون

تمتماتُ الدعاءِ ووهجُ الصلاه

نقضتها الشفاه

صحوات العقولِ التي أثقلتْها الذنوب

نفضتْها القلوبْ

والفرائضْ

نقضتْها الفرائضْ

أُنقُضي

وانقضي

يا نقائضْ !

السجل السادس

يُصلّي :
على بقع الزيت والطُّحلب النتن
في التيمز
يطفو الضبابُ
لُهاثُ المصانعِ والأمم المستباحة
يطفو السناجُ الملوث بالدم والصرخات القديمة
في التيمز

فجراً

قبيل قطار الضواحي

على بقع الدمع والشحم تطفو ذراعٌ

تدفُّ العصافير من برج « بغ بن »

ويطفو على الماء وجهٌ

يميلُ مع الموج شيئاً فشيئاً

يعالجُ مستر ستوكلي مفاتيح دكانه الأثريّ

وعاملةٌ تستريح قليلاً

هنودٌ يمرّون

تطفو على السطح

في التيمز

جثة مغترب آسيويّ

ثقوب الرصاص يمرّ بها السمك الميتْ

في التيمز

فجراً

ويطفو الضبابُ الثقيلُ

على بقع الزيت

يطفو الضبابُ

..

..

..

وجثّه ..

السجل السابع

من بخار الحقول تأتين ملأى

بثمار الغفران تأتين ملأى

وتفيضين نكهةً من حضورٍ

فتغيب الحقول شيئاً فشيئا

أنتِ يا بنت ! هل رأيت سلالي

خاويات ؟ تدنو يدايَ فتنأى

لكِ بيتي وساحتي وسياجي

فأطلي على ظلامي ضوءَ !

لمسةٌ من يديك تخصب قفري

وتغطي هجيرة الروح فيْءَ!

فاستجيبي الدعاءَ. ضاقت صلاتي

بذنوبي وضقتُ رؤيا ومرأى..

السجل الثامن

(رسالة : إلى قرّاء لا يقرأون !)

له أن يصوغ مداراته الآن !
خلقاً جديداً على صورتهْ
جميلًا كتوبة مريمْ
قبيحاً كظل الغزاة
على ظل بيت مهدّم
جميلًا

قبيحاً

ولكن على صورتهْ ..

له الآن أن يتأبط شرّ الجنون

وخير الجنون

كما يشتهي موته الفوضويُّ

على شرفة العالم القاتمةْ

كما يتهجى حروف ولادته القادمةْ

له الآن أن يتقمص جثته الباقية

ويخرج للشارع العام

حراً طليقاً ، على صورته

أمام إرادته الحافية

وفي وجه دبابةٍ قطفتْ لحمه

ولما تزل في الطريق

لتقطف أزهار حاكورته

له أن يطلّ على عتمة الأرض من جرحِهِ

مضيئاً وضيئاً
يجيش بميثاق صيرورتهْ
بمقلاعِهِ يقذف القلب
شمساً الى الأفق
(شمسُ الشموس تأخر ميعادها ،
كم تأخر عن صبحهِ !) ..
علينا عصور الظلام
ورحبٌ رواق الدماءِ
ومرٌّ مذاق البكاءِ
وقاسٍ سياقُ الكلامْ
علينا السلامْ
ليبكِ لنا وعلينا ومنا وفينا
ليبكِ مغني الرحيلْ
ليبكِ الجليلُ الجليلْ
لتبكِ على قِبلة القدس داليةٌ من كروم الخليلْ
لتبكِ عذارى فلسطينَ ثوبَ الزفاف
وعرس القطاف

ليبكِ الأسير الأسير

ليبكِ القتيل القتيلْ

لتبكِ شبابيك أجدادنا المغلقة

على جثثٍ حيّة مرهقة

لنبكِ ونبكِ ،

وقد ضحك الموتُ من موتِنا

وازدرى الممكنَ المستحيل

لنبكِ كما يشتهينا البكاءُ

علينا السلام

سلام عليه

له المجد يبكي ويضحك

حرّاً ، مريضاً بعافية الحبِّ ، يستدرج العافيه

يباغت أحزانهُ

يتشبثُ حياً وميتاً بقمصانه الباليه

بيارق . بعد سقوط البيارقْ

ومروحةً للحرائقْ

وكيف يشاءُ .

يمارس حيّا وميْتاً
طقوس أزقته الداميه !

سنونوة الدمِّ تنثر أزهارها لجنون الشوارع
تبذر أسرارها في حنين المزارع
تنشر أخبارها في أذان الجوامع
ملءَ بخور الكنائس
عدوى مباركةً في صفوف المدارس
كلمة سرٍّ تطوفُ السجون
وتعلن ما سيكون وما لن يكون !

تطارحهُ الأرضُ ما ظلَّ في سرِّها من غرامْ
وما ظلّ في جهرها للأدام
وينتحبُ الوردُ هشّاً
يغادرُ مسكبه في الحديقه
ليفسح من ضيقها خندقاً للخضار
وورد الحقيقهْ

حصارٌ يطولُ

وراءَ حصارٍ

يَطولُ

وراء الحصارْ

فيا مسكب الورد عذراً على الاعتذارْ !

بلى ، أتخم القلب جوعُ السنين

بلى ، ظميءَ الجسم والاسم في شرك الفاتحين

ينام ويصحو الحصارْ

ويصحو ويصحو الحصارْ

وأقربُ من جرعةِ الوحل زمزمْ

وأبعدُ من رحمةِ الله بابُ المخيّم

يجوعُ صبيُّ المجاعه

وسمعاً وطاعه

يجوعُ

وليس لكرتِ الاعاشة ليس لكرت الاعاشةِ

في جبنة الغوث موتٌ صغيرْ

(وبئس المصيرْ)

ويظمأ يظمأ

لا للنبيذ المعتق في مجلس الأمنِ

لا لسُلافةِ أقبية الدمِّ

في دول الانس والجنِّ

كسرةُ حريةٍ لعنتهْ

وجرعة حرية ثورتهْ

هو الآن يفتحُ سوقَ الغضبْ

غلاماً من الطين . شيخَ انتظارْ

تخفَّى بزيتونةٍ من لهبْ

ليظهر تهليلةً للمواليد

كفارةً عن عذاب العربْ

هو الآن في الشارع العام

في الساحةِ النازفه

وراء ارادته العاصفه

توزِّع برقاً شرايينهُ

وتهزجُ رعداً عناوينهُ

له اللاتُ والله

أوغلَ في بعدِهِ .. فاقتربْ !

متى يا متى

متى تُنضج القِدْر نارُ الشهادات

(طهو الحصى لا يعلّلُ !)

كيف تضيءُ ثيابُ الحِداد مشاجبها

من يُشيبُ المناخَ الى رشدِهِ

وأيةُ كفٍّ رسوليةٍ

تكشط الموتَ عن جلدِهِ

ملائكةٌ من طحينٍ يمرونَ ليلاً بطابونِهِ

نخلةٌ تتدلّى عناقيدُها

أُوكلاً طيباً

وزجاجاً يليق بصاعقة المولوتوف

اصهلي يا غيوم الترقُّب في حمأة السخط

ههوذا يسرج الريح يمتشق الموت

فاتحةً للقضاءِ وخاتمةً للقدرْ

هو الآن يطلعُ من وهمِهِ

وللمَحل والقحطِ

والجهلِ والنفطِ

يرفعُ

يرفعُ من لحمِهِ

سماءً تجيد المطرْ

هو الآن يرسمُ سيماءَهُ ، بالحجرْ

وينسخ أسماءَهُ بالحجرْ

له المجدُ في جمعة الشارع العامِّ

في مسجد الساحةِ العاريه

وحيداً كثيراً

صغيراً كبيراً

يقضقضُ بالقيدِ أسوارَ سَجّانِهِ العاليه

وأسرار قاتِله العاتيه

ويسري من الموت يسري على الموتِ

يكتب قرآنه بالحجرْ

رسولاً بلا حاشيه

يبشر في الغاشيه

ويتلو رسالته الآتيه

ويدعو الى ملكوتِ البشرْ

بآياته البيِّنات

نجوماً من الدمِّ ،

تسطعُ .. في أُفقٍ .. من حَجرْ ..

السجل التاسع

تلدينني ما شئتِ . لا ما شاءوا

فيسبّنــا أزواجــك الشــرفــاءُ

كيف اجترحنا في المذابح حمرةً

لــدمــائنــا ودمــاؤهم زرقــاءُ

ويحــطُّنـا نـوءٌ عـلى أربــاضهم

وتـشـيـلنـا من وحـلهم أنــواءُ

ليلاً على ليلٍ على ليلٍ على

ليـلٍ . وتوصدُ بابهـا الصحراءُ

يـرتدُّ اسمـاعيل عن قسمـاتِـهِ

حـذراً وهـاجـرُ مـالهـا سيـاءُ

ونكـون أرملةً تنـوءُ بعــرضهـا

ويتيمهـا تخـزى بـه اللقـطاءُ

فنصـير في حجرٍ يـدقُّ سماءَنـا

مُـتسـمّيـاً فـتحـبـنـا الأسـماءُ

أُمي !

ويخـطبـك الـرجـالُ جميعـهم

ولـدى يتيمـك يكـثُرُ الآبـاءُ !

السجل العاشر

يوزِّعُ القناصه

حلوى

على أيتام قتلاهم

(تعود الشمسُ)

والخلاصه :

طفلٌ يتيمٌ

يشتري بحجرٍ

خلاصَه

ويشتري خلاصَه !

السجل الحادي عشر

(قصيدة مصر)

(م. مدخل)

ليمض على رسلهِ النيلُ ،
من ألفِ دهرٍ الى ألف دهرٍ
ليمضِ
على رسْلهِ
هذه الأرض أرضي

ليمضِ

وإنّي المقيمْ

اذا غيَّب الظنُّ بعضي

وراءَ حنوطِ النواويسِ ليلاً

تجسَّدَ بعضي

مع الفجرِ

زغرودةً للولادهْ

وتهليلة في سماءِ النخيلِ القديمْ

تكبيرةً للواءِ الرسولِ الكريمْ

لقلبِ المعزِّ

وصوتِ المعزِّ

وفسطاطِ روحي

وخيْل الرِّياده

وإنّي المقيم المقيمْ

على شرفة الحُلمِ والعِلمِ

يا شَمس أسلافيَ المستعادهْ !

ليمضِ على رسلِهِ النيلُ ،

باقٍ أنا في أنينِ الشواذيف

في خَفَقان المجاذيف

من ألفِ كَوْرٍ وَدَورٍ

توضأتُ قبل السجودِ وبعدَ السجود

لشمسي الإلهَةِ

جادلتُ كُهّانَ « رع »

وقاتلتُ في جيش خوفو ورمسيس

اولَدْتُ إيزيس

غبتُ قليلًا وعدتُ كثيراً

لأبقى هنا

في طموحِ المدى وجموحِ الارادهْ

ليمضِ على رسْلِهِ النيلُ ،

آمنتُ .. آمنتُ ...

كانَ رحيلي صلاةً

وإنَّ رجوعي .. عبادهْ !

(ص. صيرورة)

هنا ، تحت سقف السماءِ
وليسَ على الأرض
أطفو هُلاماً من الصبواتِ النبيلةْ
وتحملني الريحُ
خلفَ غبار القبيلةْ
يتيماً من الطلحِ والرَّملِ والملحِ
نادى وحيداً ،
وَرَجَّعَت البيدُ ، قالت : تكاثرْ !
ونادى كثيراً :
إلى أيِّ برٍّ تهيمين
يا أم يتمي وخوفي وفقري
إلى أيِّ بر ؟ ومن أيِّ برٍّ ؟
إلى أين يا أَمَة الله « هاجرْ »
وخلفَ الفضاءِ المحاصَرْ
فضاءٌ مُحاصَرْ

إلى مصرَ . مِن مصرَ .

باركنا الله يا أُمَّ قلبي ودربي

وشعبي .

وباركني الله

من مصرَ . في مصرَ .

اعبرُ ، نسلاً من النخلِ والسنديانْ

وجيلاً من الصمتِ والموتِ

يبعثُ في ألفِ جيلٍ من العنفوانْ

هنا . الآن . فلتخفقِ السمسِميَّة

بإيقاع قلبي

ولترقص السمسِمية

لأني

أُحبُّ بهيّة

وجئت أغني

لأجلِ عيونِ بهيّة !!

(ر. رؤيا)

بلا زهرةٍ من جبالِ الجليلْ
ولا برتقاله
بلا عنبٍ من كروم الخليلْ
بلا مرودٍ للغزاله
أُجيئُك يا مصر
لكنْ بمهر البكارة
وطهر الحجارة
وتعويذتي في الطريق القصير الطويلْ
أصابعُ تلميذةٍ
طوّحَتْ بالجُمارِ المقدَّسِ
في حِجّة الدّم
فارتطمت بالوحولْ
وجوهُ الدُّمى المستعارَةْ ..
أجيءُ . وهل رُحْتُ حتى أَجيءْ ؟
وهل غبتُ حتى أَعود ؟

سلي قلبكِ الأزليَّ الجديدْ

بأيةِ نارٍ يُضيءْ

أنا مصرُ يا مصرُ

من لَفْحِ رُوحي الى ظِلّ روحي أفيءْ

ولم أغتربْ غير أنّي أجيءْ

تجيء معي صلوات الندى لصباح

الحجارهْ

وضوءُ الحضارهْ

وصوتٌ على البيدِ يلقي اخضرارهْ

وما أنا بالمتنبي

ما أنا بالمتنبي !

أجيئك .. لا شهوةُ الملكِ راحِلتي

ان ملكي يمتدُّ

من كحلِ فلاحةٍ في الصعيدْ

إلى بوح شبابةٍ

في مراعي الشمالِ البعيدْ

ومن لثغة الطفلِ في تنكِ اللاجئين

الى صيحةِ الفتيةِ العائدين

على مهجِ الفتية العائدين

ويمتدُّ من حجر الصامدين

الى لوتس الصاعدين

ومن ضوءِ زيتونةٍ في تلال الخلودْ

الى حلم نوبيّةٍ

تشتهي أكُلًا طيباً

في ظلالِ النخيل الحزينْ

ويمتدُّ من شهداءِ الرضا

وضحايا النشيد

على رمل سيناءَ

يمتدُّ رحباً مضيئاً

إلى نجمةٍ من دمٍ

واسمُها : بور سعيدْ

الى القدس

مسرجةِ اللهِ

مبخرةِ الشمس

يمتدُّ ملكيَ مني إليكِ

ومنكِ إليا

ويكبرُ فيك ويكبرُ فيا

وتكبرُ آفاقُنا الصابرةْ

وأشواقنا الثائرة

وتهدُرُ من فاس للناصِرَه

وتهدُرُ

تهدُرُ في القاهرهْ

« بكلْمة سِرّ :

« أماماً سِرْ ! » .

أجيءُ وتأتينَ يا مِصرُ

تأتينَ من صُلبِ حلوان

من عُشبِ أُسوان

من نبضاتِ المصانعْ

وهمسِ المزارعْ

وشمسِ الشوارع

تجيئين يا مصرُ

من مصرَ . في مصرَ .

تأتين . كفا تشدُ على الكفّ

عاصفةً في ركود التقاويم

ملء مِلاءتك اللفّ

في زفةِ القمحِ والقطنِ

والناي والدفّ

تأتين .. طيبةً ، وادعه

ولاذعةً ـ لاذعهْ

ورائعةً . أبداً رائعه .

هُنا نحْنُ

يرفعُ فينا بلالُ الحياةِ

أذان الشهاده

وتقرع أجراسُنا للاراده

وخصبِ الولادهْ

أتينا .. ونأتي

إلى ألفِ عُرْسٍ

ومن ألفِ مَوْتِ

أتينا . ونأتي ..

هُنا !

الآن !

فلتنبُض السِّمسميَّه

بإيقاعِ قلبي

ولتخفُق السِّمسميَّه

بإيقاعِ قلبي

ولْترقُص السِّمسميَّه

لأني

أحبُّ أحبُّ أحبُّ بهيّهْ

وجئتُ أُغنِي

عيونَ بهيّهْ ..

السجل الثاني عشر

للقطار السريع أن يتأنّى

قبل ميعادنا الأخير ، وصلنا

قد قطعنا كل المسافات هَوْنا

والمسافات

كلُّها قطعتْنا ..

للقطار البطيءِ أن يتأنّى ..

السجل الثالث عشر

الصلاةُ والسلامْ

ألفُ ألفٍ .. لا أحدْ

والصلاة والسلامْ

أبدٌ يمحو أبدْ

والصلاةُ والسلامْ

ألورى فردٌ صَمَدْ

أنا

مولاي الإمامْ ..

السجل الرابع عشر

يُصلّي :

إذن ، ليس لي أن أقولَ

سوى الكلماتِ التي أبهجتْ أبويَّ قديماً

سوى الخلجات المثيرة في المهدِ

(بادرةُ النطقِ تكفي لقتلي

ويكفي قليلٌ من الشمسِ

حتى أغادرَ ظلّي ..)

خذوها إذن كلّ هذي الشواطيء
وتلك الموانيء
خذوا اليابسه
وحسبي من الحُلمِ ،
عوّامةٌ تتأرجحُ بين ضلوعِ المحيطِ
وقشّة أغنيتي اليائسه
وحسبيَ شيءٌ من الشمسِ حولي
لأرجع حراً طليقاً
وأسكن ظلّي
وأُرجيء قتلي
خذوها إذن هذه الكُرة البائسه
وبعدي أكونُ
كما كنتُ .. قبلي ..

السجل الخامس عشر

أعودُ سالماً الى قواعدي

أعودُ من منفايَ في القلبِ

إلى منفايَ في القلبِ

جموعاً ظهرتْ من واحدٍ

ثم اختفتْ في واحِدِ

أعود خاسراً ورابحاً

إلى قصائدي

أعودُ .. جنديٌّ أنا

في الحرب والسلامِ

جنديٌّ أنا وقائدي

أعودُ

لكن لن أعود سالماً وغانماً

ولن أرى قواعدي ..

السجل السادس عشر

صلَّى ،

تفقَّدَ أنبوبةَ الغازِ

عالجَ بعض الصنابير في البيتِ

مرَّ بعينيهِ فوقَ الصُّوَرْ

ومرَّ بكفٍّ الكآبةِ

عبرَ رفوفٍ تقوَّسُها الكُتُبْ

أطفأ في الغرفِ الكهرباء

وأوغَلَ في خطوةٍ من حَجَرْ

هو الآن يخرجُ منه إليهِ
ليدخُلَ منه إليهِ
وحيداً مع الصمتِ
بين ضجيج اللغاتِ ولَغْط البشرْ

(أجل . أمْحَلَتْ هذه الأرضُ
لا بدَّ من جرعةٍ للجذور التعيسةِ
غيَّثَتِ الناسُ من كل جنسٍ
وفي كل دينٍ
بناتُ المدارسِ غيَّثْنَ
راهبةٌ نزعتْ ثوبها للاله القديمِ
وصلَّت طويلاً
شيوخٌ توالوا على منبر القحطِ
سيدةٌ تستدرُّ الرياحَ الأخيرةَ
أطفالُها يضمُرون رويداً رويداً

وتطلبُ وجه الكريم الرحيمْ ..)

يُجيبُ   اسمعوا أيها الفقراءُ

انهضوا أيها الكسحاءُ

اسمعوا وانهضوا واخرجوا

في صراط دمي المستقيمْ ..

ويخرجُ منه إليهِ

ويدخُلُ منه إليهِ

وحيداً مع الموتِ

ملءَ حياة البشر

ويخدشُ سرَّ السماءِ بأظفر شهوتِهِ

فيسحّ المطرْ

رويداً رويداً

ويهمي

المطرْ ..

السجل السابع عشر

يُصلّي :

ستسرقني بعد شهرين من مولدي امرأةٌ فقدتْ كلَّ أبنائها في حروب القبائل * ترضعني حزنَها البلديَّ * تُنشّئني للأغاني السعيدة * في بيتها حَبَقٌ للكآبةِ والشمسِ * في بيتها جَرَّةٌ من نبيذ العباداتِ * تأخذني مرةً في النهارِ الى نخلةِ الأولياءِ * وفي الليل تحملني لِكناسِ الغزالةِ *

يا أُمُّ ـ أسألها ـ هل رأيتِ النساءَ الصغيراتِ في النهرِ ؟ *

هل لمستْ كفُّك الرجُلَ الأجنبيَّ القتيلَ على ضفّةِ النهرِ ؟ *

تهربُ بي للحقول ِ القريبةِ وهْيَ تُولوِلُ * تسألُني أن أتوبَ *
فأصرخُ غيظاً * وأسرقُ في الفجرِ خنجرَها الذهبيَّ *، وأمضي
خفيفاً إلى الحربِ * تسرقُني غبطتي *
وتسرقُني (بعد شهرين من مصرعي) جُثَّتي *

السجل الثامن عشر

هـاتي يـديـكِ وَمَسِّـدي أحـزاني

ـ بنتَ الجحيمِ ـ وَهَدْهِدي أجفاني

لي في يـديـكِ مكيـدةٌ أدمنتُهـا

وحبيـلةٌ في ثغـركِ الـشيـطانِ

بنتَ الجحيمِ اخترتُ موتي صاحياً

فتمتَّعي بِـوِحـامِـكِ السكـرانِ

لي من دمي المقصود بعثٌ قادِمٌ

ثـانٍ . أُعـاجِلُهُ بفتـكِ ثـانِ !!

السجل التاسع عشر

يُصلِّي :

صباحَ السعادةِ يا وردةَ الروح * من أيِّ حُلم تجيئين عابقةً بالحياةِ الجديدةِ ؟ * أيةَ أرضٍ تركتِ وراءَكِ ؟ * هل للفضاء امتدادٌ سواكِ ؟ * ألا أَطلعيني على سِرِّ كنزكِ * لا تخجلي * لا تخافي * كنوزي بلا عَدَدٍ * أصطفيها لأجلكِ أنتِ * ادخُلي جنَّتي وجحيمي * ادخُلي قَلَقي وهمومي * املأيني بكِ امتلئي بي * تعالي إلى شرفة الكونِ * نَشْهَدْ ولاداتِهِ * نتمجَّد بِهِ * انطلقي مرةً * واسكني أبداً في ظلالِ يدي الوارِفَه *

يُصلِّي :

نهارَ التساؤلِ ، تفاحةَ الدمِّ * في أيّ حلمٍ تغيبينَ ؟ * في أيِّ حُلمٍ أَغيبُ ؟ * تقاطَعتِ الطرقاتُ القديمةُ واختَبَلَ الطقسُ * هل من رجاءٍ بأن يستردَّ المناخُ اتزانَ البروجِ فتتضح العاصِفَه ؟ *

يُصلِّي :

مساءَ الكآبةِ يا حَجَر السخطِ * تفاحتي هرمتْ * ذبلتْ وردتي * أَخذتْني على غرَّةٍ لوعتي * بشراً ضلَّ في واحِدٍ واحداً في البَشَرْ *

يُصلِّي :

لوردهْ

لتفاحةٍ وَحَجَرْ

(سريري إبَرْ

وأذهَبُ . ما من أثَرْ

لِوَرْدَتِتُفَّاحَجَرْ ..)

السجل العشرون

تعثرين عليَّ إذا شئتِ
في نَظَرات النبيين
خاتمةً للبدايه
في خُطا ملكٍ
خَلَعتهُ الجماهيرُ عن عرشِهِ
فاستردَّ ابتساماتِهِ
واستراحَ الى ظِلِّهِ الآدميِّ

ثقيلاً بما أورثتهُ الرعيَّةُ
جَزْلاً بما أثقلَتهُ الرعايه

تعثرين عليَّ إذا شئتِ
ممتطياً مهرتي في سهوب الأغاني
فارساً من بروقٍ
أميراً على العُشبِ
يبتديءُ الخصبُ كيف اشتهى صولجاني

تعثرين عليَّ
فقيراً ضريراً :
ينوحُ التسوُّلُ في شفتيهِ
وبين يديهِ تموتُ الأماني
وإذا شئتِ
قد تعثرين عليَّ
قتيلاً غريباً
على طرفِ الغابةِ الآفلهْ

وجهُهُ مائلٌ للشروقِ

يداهُ . على جمرةٍ هائلهْ

تعثرين عليَّ إذا شئتِ

في كلِّ أرضٍ

لدى كُلِّ جنسٍ

على أيِّ شكلٍ

وقد تعثرين عليْ

إنبهاراً أخيراً

يلوذُ بما ظلَّ من حُلمك الليلكيْ

تعثرين عليْ

إنما . ليسَ فيْ

أنتِ لن تعثري فيَّ يوماً ،

عَلَيْ ..

السجل الحادي والعشرون

يستضيفُ الأجاويدُ خلاّنهُم

عندَ حدّ السماءِ الأخيره

والشيوخُ القدامى

يمدّون ثلج اللحى

معبراً للاله

آهِ يا سيدي المصطفى

آهِ . آه

من يراني هُنا ؟
هل تراني هنا واحداً أحداً
مفرداً صَمَداً
غائباً
في غيابِ الجزيره ..
عند حدّ السماءِ الأخيره ؟

السجل الثاني والعشرون

يتألبون عليّ
أفواجاً من الموتى اللطاف
تخونُهم سيقانُهم حيناً
يُقضقضُ عظمهم في صقعة الأكفان
يبتسمون من خزيٍ

(ـ هدوءاً أيها الموتى الكرامْ
جهّزتُ مائدتي لكم

من كرمتي هذا النبيذُ

ومن بساتيني الطعامْ

يا أيها الموتى !

أحِبَّةَ مولدي وظلالَ غيبتيَ الأخيره

لن تخرجوا منّي

دخلتُ . دخلتُ .

كان البابُ مفتوحاً على شغفي

وكانتْ خطوةُ الدنيا قصيره ..)

يتألبون عليَّ أفواجاً ،

أُعانقُهُم

ويكسو اللحمُ أفواجَ العِظامْ ..

السجل الثالث والعشرون

ملكُ الملوكِ يعودُ بعد غيـابِـهِ

يا بنتُ فانتظري الحبيبَ ببابِهِ

ملكُ الملوكِ يعـود بعد غيـابِـهِ

لَه في كرومِ الله أطيبُ كرمةٍ

نضجتْ . فأينَ الخمرُ من أعنابِهِ ؟

ملكُ الملوكِ يعـود بعد غيـابِـهِ

وطئت خطاهُ من المسالك سرَّها

واليـوم يكشفُـهُ عـلى أعتـابِــهِ

مَلِكُ الملوكِ يعـود بعد غيـابِـهِ

أُسرى إلى الآفاقِ أعزَلَ . فاشهدي

هـوذا يعـودُ مـدجَّجاً بعـذابِـهِ

مَلِكُ الملوكِ يعـود بعد غيـابِـهِ

يا بنتُ رُشّي المسكَ فوقَ جراحِهِ

وتلمسي فَمَـهُ ليُعلِنَ مـا بِـهِ !

السجل الرابع والعشرون

[الى حسن البحيري]

لأطفالِ « وادي الصليب »
تقولُ القناطرُ ما لا يُقال
وتخفي الشبابيكُ أحزانَها في سؤال
لماذا ؟

(ويسقُطُ طفلٌ من الشرفةِ العاليه
إلى عتمة الهاويه)

لأطفالِ « وادي الصليب »
سلالمُ تصعدُ من أزلٍ لا يزال
إلى حجرٍ
واقعٍ .. أو خيال
وتصعد تحت الركام
وتصعد فوق الركام
ويصعد طفلٌ عليها
معيداً خطاهُ القديمةَ منها إليها
وفي الإبط كرّاسةٌ مدرسيّة
وأجملُ ما أعطت الابجديّة
حروف : س. ل. ا. م
لأطفالِ « وادي الصليب »

السجل الخامس والعشرون

ألـطيبـون لــديـكَ . والأشــرارُ
الخيبتــانِ معــاً .. فــما تختــارُ ؟
لَك أن تبوحَ بما تُسرُّ من الجوى
سقط القناعُ . وبانت الأسـرارُ
قل ما تشاءُ ولا تشاءُ مُجلجلاً
عفـوَ السجيّـةِ . ولتشبَّ النــارُ
وافتـحْ لبركـانِ الحفائظ فـوهـةً
ولينـدلـعْ حمــأُ الأسى المــوّارُ

حُرّانِ نحن (أنا) وحرٌّ سخطُنا
وجنـــونُنـــا . والحبُّ . والايثـــارُ
إن كان ايمانُ السجـينِ بسجنِهِ
وحيَ السماءِ . فـإنّنـــا كفّـارُ !

يا أيها المصلوب جرحك مرجلٌ
يغـلي . وفيكَ سيُصهـر المسمـارُ
فاعصفْ بأوكـار الجريمـةِ عاليـاً
لرضاكَ تـرفع وجـدَها الأنـظارُ
واشهدْ . لتشهَدَ مسرحاً متهاوياً
ودمىً . حـريقُـك دونهنَّ ستــارُ
وهـــواةُ مـوتـــكَ كُلُّهم نـــظَّارةٌ
وممـثلون . وكُـلُّهـم مـــنهـــارُ ..

يا أيها المصلوب . لحمُكَ أسرةٌ
ونـــزيفُ روحـكَ أمّـــةٌ وديـــارُ

فانثر عذابكَ حيث تعبُرُ حنطةً

الصبرُ يحرثُ والعذابُ بذارُ

والخصبُ في دمك الغزير بشارةٌ

وعلى يديكَ يفتِّح النوّارُ

آذارُ في الأعمارِ شهرٌ عابرٌ

ودهورُ عُمرك . كُلُّها آذارٌ !

صلبوكَ في الوادي الأصمّ . فقل لَهُم :

لي من صليبي منبرٌ هدّارُ

سقط القناعُ . وبانت الأسرارُ

وأنا أبوحُ .. وآنَ أن تختاروا !!

السجل السادس والعشرون

تناولْ طعام العشاء الأخير

ودخِّن إذا شئتَ . لكن قليلاً

يُضرُّ الدخان بصحتنا (قبل يوضاس !)

يا صاحبي

جرِّب السخرينَ فقد ..

وعسى .. ولعلَّ ..

ورُدَّ على التلفون اللجوج

مواعيدنا اختبلتْ يا صديقي

وضاعُ الطريقُ . أجل ضاعَ

لكننا لم نضعْ في اختبالِ الطريقِ

وها أنتَ تمشي من الشمسِ للقدسِ

والقدسُ تمشي إليَّ من الشمسِ

ما زلتُ أمشي

وما زلتَ تمشي

مفيدٌ لنا المشي (من بعد يوضاس !)

تعلمُ أني ازدردتُ عشائي الأخيرِ

على عَجَلٍ

وهُرعتُ سعيداً رشيقاً

لألقاكَ في ساحة المقصله

هناكَ

سنشربُ قهوتنا بالحليب

ونحكيِ كثيراً عن الأمسِ

حاضرُنا الجُلجله

ومستقبل الجسم والروح

يا صاحبي .. معضله

لأنَّ المنجِّم يسكرُ

والنجمَ يسكرُ

في حانة « الجلسةِ المُقبلهْ » ..

السجل السابع والعشرون

يصلّي :

ليختطف البرقُ روحي * ليحتجز الحلمُ ذرّيتي وكتابي *
رهائن للأرضِ * ملغومةٌ جثتي * أيها القاتلُ الوبشُ * لي
من دمي كيسُ رملٍ * ولي خندقٌ من جموح الضحايا إلى
بعثها * أيها القاتلُ الوبشُ * لا لن تمرَّ ولا لن تمرَّ ولا لن
تمرْ *
أنا كلُّ دهرٍ * ولي أيُّ دهرْ *

تمرُّ قليلاً * تمرُّ كثيراً * ولا لن تمرْ *

تزوجتُ موتي *

وفي الموت مَهْرٌ *

ولا لن تمرْ *

لتأتِ رجومُ الفجاءات كيف اشتهتني * وقد ولدتْني * وها أنذا أعلنُ اليومَ أني ولدتُ *

ولدتُ لصحراءَ مثقلةٍ بالثمارِ * وأعلنُ ها أنذا أولِدُ اليوم والآن صحراءَ مائرةً بالجموحِ * وها أنذا في يقيني وشكي * أبوح ليقتلني البوحُ * تغريبتي ابتدأت في نهايتها * وأصيحُ البراكينَ * في حَمَأي شهوةٌ للفضاء القديم * اسمعوا أيها الناسُ * واستبصروا اليوَم واعتبروا لغدٍ * إنهم عائدون من الغيبةِ : العُمي والبُرصُ والمقعدون اليتامى * ألا إنهم عائدون * عثاكيلُ أحزانهم نضجت واستووا واقفين * بعافية الحبِّ مستبشرين * بما دحضَ الموتَ من رُطَبٍ إنهم قافلون * مع الريح في مطلع الشمسِ راياتُهم سُحُبٌ عانقتْ سُحباً * أيها الناسُ قوموا على حزنكم واتبعون * ألا أمطرَ الموتُ فاغتسِلوا * وارتدوا حُلل العيد * أعطوا أناشيدكم قسطها

من زمانٍ يناصفُكم ليلةً بنهارٍ * ويغفرُ كلَّ الخطايا * لأن الزمان المحبّة * غنوا وصلّوا : لكِ المجدُ يا غيبةَ الأصفياء * لكِ المجدُ يا عودةَ الأصفياء *

يصلِّي :
وتفتحُ أبوابَها الأرضُ
تفتحُ أبوابَها للسماء ..

السجل الثامن والعشرون

بعدَ كورين ودَوْرٍ

وثلاثين غروباً

وشروقٍ

ودقيقه

يخرج الأمواتُ من جبّانة الحُلمِ

إلى مهد الحقيقة

لن تريني بينهم يا ابنةَ روحي

لن تريني

جسدي غادر أرض الروحِ

من كور ودورينِ

وأعطى الله

أسرارَ الخليقه ..

السجل التاسع والعشرون

يلدُ الـوليـدُ أبـاه ، فـانتـظري

مـوتي ـ الولادةُ يقتفي أثَـري

أدركـتُـه زمـنـاً وأدركـني

زمنـاً مضى في لمحـةِ البَصَـرِ

يا بنتَ روحي ، حاولي جسدي

إن غـابَ روحي دونَما خَـبَرَ

هل عَزَّ غـرسي مثقلاً ثَمَـراً ؟
لا بأسَ في غرسٍ بلا ثَمَرِ
يلدُ الوليدُ أباهُ ،
فانتظري ..

السجل الثلاثون

ولتُبدِّل ثوبَها الأفعى
لتسعى
بين أعشاب الوجوهِ الغامضهْ

وليبدِّل قلبَهُ الميِّتَ
في الأدوارِ والأكوارِ
ولينهضْ على إيقاعه الحيِّ
جديداً
وجميلاً
في خطاهُ الرافضهْ ..

السجل الحادي والثلاثون

بساقينِ من ذَهَبِ البرقِ
منخطفاً شاهقاً
بيدين من القمح والياسمينْ
يمرُّ غلامُ السماءِ الأخيرُ
يمرُّ
ولا يطأُ الأرضَ

لا يلمسُ الغيمَ
سرّاً ـ علانيةً
لا يغيبُ ولا يستبينْ
ملاكُ الملائكةِ الشهمُ
يأتي : فضيلتُه رجسُهُ
ويعودُ : فضيلتُه رجسُهُ
جسداً كاملاً
من صلاةٍ وطينْ

تراودُهُ الأرضُ عن نفسها
في السماواتِ
يجذبُهُ الله من ردنِهِ
ويبوحُ بما يشتهي
واضحاً فاضحاً
موغلاً في الشكوكِ
ومكتملاً باليقينْ

(تجسَّدْ إذن

يا غلامَ السماءِ الأخيرَ

تجدَّدْ كما تشتهي

يا ملاكَ الجحيمِ

ويا محنةَ المؤمنينْ ..)

السجل الثاني والثلاثون

هكذا ،

وردةُ الكومبيوترْ

قطفتْ مهجتي

زيّنتْ بدمي الحيّ

جدران صالونها المعدنيّ

عَرَضَتْني على فيديو دهشتي

لرجال الفضاءِ الحزانى

هكذا ،

وردةُ الكومبيوترْ

وهبتْني الأمانا

لحظةً من زمانٍ توانى

ثم كانا

أنها سلبتْني الأمانا

وردةُ الكومبيوترْ

وزعتْ شَغَفي

شذراتٍ من الضوءِ

فاكهةً هندسيّه

بين صالونها المعدنيِّ

وأغنيةٍ تتكسَّرُ

في ضربةِ الكهرباءِ

على النوتةِ المعدنيّهْ ..

مرحباً ، وردةَ الكومبيوترْ !

إنني خائفٌ وسعيدٌ

خُذي

جسدي مزهريّةً

ويدي صولجانا

وامنحيني الأمانا !!

وردةَ الكومبيوتَرْ ..

البيان قبل الأخير

عن واقع الحال مع الغزاة الذين لا يقرأون

لا . لا تعدُّوا العَشرَه ..

يومُ الحساب فاتكُمْ

وبعثرتْ أوقاتكمْ

أرقامُها المبعثَرَهْ

فلا تعدُّوا العشره ...

تدفَّقوا من مجزَرهْ

وانطلقوا في مجزرَهْ
أَشلاءُ قَتْلانا على نهر الدماءِ قنطرَهْ
فلا تعدُّوا العَشَره ..

تزوَّجوا دبّابةً
وأنجبوا مجنزرَهْ
وحاولوا
وعلِّلوا
وقاتلوا
وقَتَّلوا
كلُّ شهيدٍ غيمةٌ
تصعدُ من تُرابِنا
تَهمي عَلى حرابِكُمْ

ومرةً أخرى وراءَ مرةٍ أخرى
يعودُ غيمةً من بابِنا
كلُّ شهيدٍ غيمةٌ

كل وليدٍ شَجَرَهْ

فلا تعدّوا العشرهْ ..

يا أيُّها الآتون من عذابِكُم

عودوا على عذابنا

عودوا إلى صوابنا

الشَّمْسُ في كتابِنا

فأيُّ شيءٍ غيرَ هذا الليل في كتابِكُم

يا أيها الآتون من عذابِكُمْ

لا . لا تعدّوا العشرَهْ

وغازلوا قاذفةً

وعاشِروا مدمِّرهْ

وأتقِنوا المكائدَ المُحكَمَة المدبَّرَهْ

خُذوا دمي حبراً لكم

ودبِّجوا قصائدَ المديحِ

في المذابحِ المُظَفَّرهْ

وسمِّموا السنابلْ

وهدِّموا المنازلْ

وأطلقوا النارَ على فَرَاشَةِ السلامْ
وكسَّروا العظامْ
لا بأس لو تصيرُ مزهريةً
عظامُنا المُكسَّرَهْ
لا . لا تعدّوا العشرَهْ

مَنْ أوصَدَ السِّحرَ على قلوبِكم ؟
مَنْ كدَّسَ الألغازَ في دروبكم ؟
من أرشَدَ النصل إلى دمائِنا ؟
من دَلَّ أشباحَ الأساطير على أسمائِنا ؟
من أشعَلَ الفتيل ؟
من لاطَمَ القتيل بالقتيل ؟
لا تسألوا
لا تَقْبَلوا
لا تعبأوا بالدمعةِ المفكّره
ولا تعدّوا العشرَهْ ..

مِن ههُنا كرَّت جيوشٌ ـ مثلكُمْ

وههُنا فرَّت جيوشٌ قبلكُمْ

فاْقتحِموا

واْلتحِموا

وأخطِئوا

واْتّهموا

ما دامَ في الدُّنيا لكُم

قاضٍ ، بما تَرَوْنَهُ حقاً وعدلاً يحكُمُ

ونحنُ لسنا غير اسطوانةٍ مُكرَّرَه

أقوالنا . في عُرفكم . مزوَّره

كوشانُنا ، شهودُنا ، عقودُنا مزوَّره

وَجَدُّنا مُزوَّرٌ

وأُمُّنا مزوَّره

ولحمُنا ودمنا شهادةٌ مزوَّره

لا .. لا تعدّوا العشره ...

جئتُم

إذن، فَليَخْرُجِ القَتْلى إلى الشوارعْ
وَليَخْرج الآباء والأبْناءُ.. للشوارع
وَلتَخْرج الأقلامُ والدفاترُ البيضاءُ
والأصابعْ
وَلتَخْرُج المكاحِلْ
وَخُصَلُ النعناع والجدائلْ
ولتخرج الأفكارُ والأشعارُ والآراءُ
والفصائلْ
وليخرجِ المُنَظِّرُ - المبشِّرُ - المُقاتلْ
ولتخرجِ الأحلامُ من كابوسِها
ولتخرجِ الألفاظُ من قاموسِها
ولتخرجِ البيوت والوَرْشاتُ والمزارِعْ
ولتخرجِ المِحنةُ واللعنةُ .. للشوارعْ
ولتخرجِ النكبةُ والنكسةُ للشوارعْ
وليخرجِ الدجاجُ والسياجُ للشوارعْ
ولتخرجِ البطونُ والأفخاذُ والأحلافُ
والأحزابْ

ولتخرجِ الأديان والشرائعْ

ولتخرجِ الأشياءُ والأسماءُ والألقابْ

وليخرجِ الحبُّ على أجنحَةِ الضغينه

أبيضَ في أزقَّةِ المخيَّمْ

أسوَدَ في كوفيَّةِ المُلثَّمْ

أخْضَرَ في حاراتنا الحزينَهْ

أحمَرَ في انتفاضَةِ الخربَةِ والقريَةِ

والمَدينه

ولتخرجِ الأهزوجَةُ الشعبيَّهْ

ولتخرجِ القضيَّهْ ...

جئتُم

إذن فلتخرج الساحاتُ والشوارعْ

فيضاً من النورِ

على العتمةِ في الساحاتِ والشوارعْ

سدّاً من اللحمِ

على مَدٍّ من الفولاذِ والمَطامِعْ

الكلُّ ـ للساحاتِ والشوارعْ

والكلُّ - في الساحاتِ والشوارعْ
وَلْتُدْرِك المَصارِعُ المَصارِعْ
ولا تَعدّوا العشَرهْ
لا . لا تعدوا العشره ...

جئتُم
إذن فليأخُذ الفولاذُ ما يَشاءْ
ولتأخُذ الهراوةُ الحمقاءْ
وليأخذ المطّاط والرصاصْ
ولتأخذ الأسلاكُ والغازاتُ ما تشاءْ
أبرقتِ الكآبهْ
في أُفُق الكوارثِ الصّمّاءْ
وأرعدتْ إرادةُ الخَلاص
فلتختصر تاريخَها السحابَهْ
ولتُمطر الدماءْ
ولتُمطر الدماءْ
ولتُزهر السفوحُ والسهولُ والوديانْ

قتلى وزيتوناً وزعفرانْ

ولتَقْدَح الشرارَه

بحكمةِ الحجارَه

وليخترعْ إنسانَهُ الإنسان

فلا تعدّوا العَشَرَه

ولا نعدُّ العَشره

تَراجَعَ العدُّ إلى الصِّفرِ

آنطَلِقْ

من قُمْقُمِ الموتِ

إلى سمائك المحرَّرَه

وأرضِكَ المحرَّرَه

عملاقَنا - مقلاعَنا

مقلاعَنا - عملاقَنا

ولا تُعُدَّ العشرَهْ

لا

لا تعدَّ العشرَهْ !!

معجم الشهداء

(باب جديد يُلْحَق بمعجم الأدباء)

(أ)

أب في السادسة والخمسين

لم يذهب الولدُ الأخيرُ إلى دراسته
الأخيرهْ
لم يحترسْ
لم يحترسْ
قطعت عليه طريقَهُ

قُطعان نملٍ مفترسْ

*

وهُرعتَ تسأل عنهُ

بيِن أزقةِ المنفى الصغيرهْ

لم تحترسْ

لم تحترسْ

قطعت عليك طريقَك الممتدّ في

الصَّبَوات

من ضيق المخيَّم للمساحات المثيرهْ

قُطعانُ نملٍ مفترسْ

*

لم يَحترسْ

*

لم تَحترسْ

(ب)

بنت تكتب الشعارات

جُدرانُكِ البيضاءْ
طلاؤُكِ الأسودْ
فرشاتكِ الخضراءْ
ودمُكِ الأحمرْ
غرامُكِ الوَحيدُ والأوحدْ

*

ورايةٌ جديدةٌ
على المدى تظهرْ

بيت مهدوم بأمر عسكري

آويتَ مُعتصماً بحبل الله
والوطن الأثير

فعليك ان تأوى إلى الحَجر الأخيرْ

*

يا أيها البيتُ الذي هدمتْهُ
جرّافات « بن نون »
اعتصِمْ
بالله والشعبِ القديرْ
لا بأسَ
بستاناً تصيرْ
وتصيرُ مولوداً جديداً
أو بنفسجةً على شفةِ الغَديرْ

(ت)

تلميذة في الصف السابع الابتدائي

أيُّ حُلمٍ شقيّ
بين أهدابكِ المسْبَلهْ

ازعَجوا أوَّلَهْ

بأزيز الرصاص الغبيّ

فانتَهى وردةً

طرّزتْ صدر فُستانك المدرسيّ

*

أيُّ حلمٍ شقيّ

(ح)

حجرٌ مرَّت عليه جنازير دبابة

لم يؤكِّدْ شُهود العَيان افادتكَ الفاضحة

لم يَعش أحَدٌ من رجال الصحافةِ

لحظتك الفادحةْ

*

النداء الذي خَنَقَتْهُ جنازيرُ دبابةٍ فاتحة

حينَ مرَّت على صرختِك

أغفلتْهُ الصُّحُفْ

*

لا تَخَفْ

يا صديقي سمعنا النداءْ

وحفظْنا النداءْ

لا تَخَفْ

طلعتْ وردةُ الروح من بذْرَتِكْ

يا رفيقي الحَجَرْ

كان صمتاً ثقيلاً وموتاً طويلاً

فقلْ

كل ما لم يَقُلْه البَشرْ

وكن النُّطفَةَ الواضحة

ثورةً كاسحةْ

وانتثرْ في المَطَرْ

وانتشرْ في لقاح الشجرْ

كل ما نامَ تحتَ الرمادِ انفَجَرْ

لا ،

وَلَنْ تُشبِه الليلةُ البارحهْ

(ز)

زهرة حمراء

وَزَّعَتْكِ الرياحُ على جُثتي
ابتهجي
زهرةَ المهرجان
واخرجي
من شقوق الحريق
على سلَّم من دخان
زينة للجنازاتِ
ميتةً ـ حيَّةً
واخرجي
صرخة من ركودِ الزمان
وموت المكان

آآآخ

وابتهجي

زهرةَ الدم والحُلمِ والعُنفوان ...

(س)

سائق تكسي

خارجَ البَلَدِ استوقفوك

فلم تترددْ

حلمتَ بأجر سَخيٍّ

عن السَّفرةِ الهينه

قلتَ في سرِّك الساذَجِ

(الآن قد وقعوا !

أُلتيوسُ الأجانبُ

لا يعلمون بأسعارنا المُعلنهْ)

*

إنهم ذاهبون لمستوطنهْ

*

وفتحتَ لهُم بابَ أوجاعِكَ المُزمِنهْ

*

عندما أفرغوا باغَةَ الفردِ
في صدغك الساذَج
ارتجفت (ربما) ارتجفتْ لوزةٌ
وبكت مئذنهْ ...

سيدة كانت فقدت أُسرتها

أخذوا الاتجاه الصَحيحْ
وَمَضوا واحداً واحداً
لن ترى منهم عائداً
أخذوا الاتجاه الصَحيحَ إلى موتِهم
ساءَلت موتها الحيَّ في بيتهم :

أيُّ شيءٍ ترى
هو هذا المكان الفسيحْ
منزلٌ أَمْ ضريحْ ؟

*

ساءَلَتْ موتَها الحيّ في بيتها
ومَضت
أخذت الاتجاه الصَحيح إلى
ساحة البلدِ الفائره
لحظات مع الحسرةِ الثائرهْ
فرحةٌ غامره

*

أقبَلت آلةُ الموتِ
(يا موتُ آن لها الآن أن تستريح)
أخذت الاتجاه الصحيح إلى موتها
أخذت الاتجاهَ الصحيح

(ش)

شغيل غير تقني

لَم تَتدرَّبْ

كيف يكونُ السَّعيُ المُتقَن نحو الرزق

لم تتغرَّبْ

لا في الغربِ ولا في الشرقْ

*

قلتَ : أُحاولُ أيةَ مِهنهْ

قلت

وقمتَ

ورحت

وجئت

غريباً في طُرُقاتِ اللعنهْ

*

أنتَ بنيتَ - وَهُمْ هَدَموك

أنت زرعتَ - وقد عرفوك

فاقتلعوك

وعلى عاصفةٍ نثروك

*

أين ستذهبْ ؟

لم تتدربْ

لم تتغرَّبْ

كيف تحاول رزق البيتِ

وقد قتلوك ؟

(ط)

طفلٌ في الرابعة

عصفورةٌ مَيِّتَةٌ

في فمِك المطبَقْ

*

وَرَقَتا زنبقْ

فِي فمكَ الميتِ

*

نَعْناعٌ

على جبينِكَ الأزرقْ

*

نَمْ بالهنا

يا ولدي نَمْ بالهَنا

لا . لن تطول غيبتي عنكَ ،

فلا تقلقْ

(ع)

عمر القاسم

لم تُقـايضْ قَـديمَهم بجـديـدكْ
فـاستشفُّـوا نُقصـانَهم فِي مـزيـدِكْ

همجُ الأرضِ ، واستغاثوا بموتِ

حـظَهُ ان يعيشَ بـين بنـودِكْ

يا رفيقَ الدُروب دَرْبُكَ ما زال

مُـضيئـاً بشعلةٍ من صمـودِكْ

يا رفيقي فلا عليك وقد مـاتت

قيـودُ الغُـزاةِ فـوقَ قُيـودِكْ

في مَهَبِّ الـرياحِ نـرفَعُ موتانـا

شمـوسـاً لفجـرِ عيـدي وعيـدِكْ

هكـذا نحنُ يـا رفيقيَ فـاسمَعْ

في مطاوي العَذابِ رَجْـعَ نشيدِكْ

وَليَ المجـدُ يـا شهيـد الأغـاني

فَلَقَد كنتُ شاهداً من شُهودِكْ !

عريس أخضر

لَمْ تَزَلْ نائمةً حتى الظهيرهْ

أرهقتْها ليلةُ الدُّخلةِ

فاعذرها

كبيرٌ حبُّكَ الصاخبُ

والبنت صغيرهْ

لم تزلْ نائمةً في التّختِ

حنّاءٌ على الكفين

طَبُّوقٌ صغيرٌ في الضّفيرة

*

أيها العاشقُ

قمْ في خِفّةِ الفَهدِ

إلى حاكورةِ الدارِ

وهييءْ للعروس

باقة النعناعِ والوَرْدِ

وقدّمها إلى شمس الشُّموسْ

*

أيُّها العاشقُ

قُمْ من غفوةِ الموتِ

على الباب العتيق

كيف لم تَحْذَرْ وقد مرُّوا بدوريّتهم

عبر الطريق ؟!

(ف)

فراشـة

صُدفَةً

حوّمْتِ حَولَ الوردةِ الحَمراء

صُدفهْ

*

حوّمَتْ طيّارةُ الهليكوبتر السوداء

صدفهْ

*

قَذَفتْ قُنبلةَ اللَّوْنِ

على الطلابِ

صُدفهْ

*

أطلقتْ قُنبلة الغازِ

على المنزل

واللوزةِ

والوردةِ

صُدفه

*

كنتِ في الوَردَةِ

في اللونِ وفي الغاز

وصدفه

أغلقَ الموتُ على المَنْظرِ شُرفَهْ

(م)

موت قبل الولادة

هكذا ،

يا صديقي الجنينَ حَسَمْتَ الحوارْ

حولَ ما سيكون اسمُ هذا الوليدِ الجديدْ

*

قيل : بنتٌ تُسمَّى « هزار »

قيل : بل ولدٌ ذكرٌ

وسيدعى « سعيدْ »

وحسمْتَ الحوارْ

(بعد قنبلةِ الغاز !)

ناديتَ : يا أهليَ الطيبينْ

أنا .. هذا الجنينَ

جئت باسمي ، وجاءْ

فالرجاءَ الرجاءْ

اكتبُوه على حجرٍ من بلادي اكتُبوهْ

واقذفوهْ

فِي ظلام السنينْ

جئتُ باسمِ الوَليدِ الجديدْ

جئت

باسم « الشّهيدْ »

(و)

ولد يرفع الأعلام على أعمدة الكهرباء

أقْصَرُ من عُمْرِكْ

مسافةُ الموتِ

الذي يمتدُّ

من بنادق الجيشِ

إلى ظهْرِكْ

*

أقْصَرُ من عُمْرِكْ .

S.O.S.

أولُ الماءِ بَسملةٌ

جفّت البئرُ في حارةِ الفُقراء المساكين

غاضَتْ عيونُ البراري القديمة

يا أصدقاءَ النبيّ احفروا مرةً ثانية

واحفروا مرةً ثانية

احفروا

أستمطِروا

واذكُروا

العِطاشى هُنا .. وهُنا الآنيهْ
اسألوا غيمةَ الحجر الباقيهْ
واخرجوا من شقوق التراب
اخرجوا من شقوق منازلكم
بالأكفِّ التي تتضرعُ
مُنشبةً سخْطها في شقوقِ السماءِ البعيدة :
يا خالقَ الكائنات
اظهر الآن من نار هذا الإطار القديم
كما أظهَرَتْكَ المآسي على طور سيناء
من نار عُلَّيقَةٍ شَوكُها يتكاثرُ في وَردتي
وتُدَمِّي اكاليلُهُ جَبهتي ..
(إرص يسرائيل هَشْليمَه
أجرات هتلفيزيا
پيحوت زوحيل أبطَلَه شْمويَه
مِشيلِتْ احدوت ليئوميت
إنفلاصيا دوهيرِت
إنفلاصيا ميروسينِت

يَجون ميروسَنْ
كليطَتْ عَلِياه
دَمْ دوهير ..(*)
آخرُ الماءِ حَوْقَلَةٌ
والمطرْ
فِي مسامّ الحجرْ ..

أول الماءِ آخرُهُ
تَخْرُجُ الريحُ من بيتها الجبليّ القديم
محمَّلةً بالطعامِ لماعِزِها
تستحمُّ قليلًا وراءَ الشواطيء
تَقْلِبُ في طيشها مركباً
وتعودُ إلى البيتِ قبلَ الغروب
مُروراً بقرنِ الغزالِ المروَّع
« ها نحن منتظرات »
تَصيحُ العجائزُ من قَلعةِ الغَيْم
ها نحنُ يا بنتُ

داهَمَنا البردُ في عُرينا المُمْحِلِ
آحتَرمي حُزنَنا العائليّ
أملأي موقدَ الذكريات
بما ظل في سفحنا من حطبْ
واستهلّي بأوجاعِنا حفلةَ البرق والرعدِ
دُوري ودُوري
كما تشتهي رَقَصاتُ اللهبْ .
أوّلُ الماءِ آخرُهُ
أستغيثُ ولا أستغيث
فَمي طفلةٌ ميّتة
فقأت عينها حَداَةٌ
قَدِمَت من جَليد الكوارثِ
واستوطنتْ جُثتي
قُربَ «باب المغاربة »(*) التفتَتْ فجأةً
شاهَدَتْ طفلةً ميّتة
فقأتْ عينَها .. ثُم عادَتْ إلى جثتي
ابتدأتْ غُربَتي

يتناهى إلى السَّمع بعضُ الحديثِ المُصمَّم للعرض في مُدُنٍ من رُخَامٍ الزمان. الرخام الذي صقلتْهُ التواريخُ ، مرَّ عليهِ الأباطرةُ المُلتحون . وجرَّت عليه الأميرات تَفْتا السَّرائِرِ والشُّبُهات النبيلة ، أُصغي بما يقتضي پروتوكول الولائم. لا يشعرون بأنشوطةٍ من حرير تشدُّ رويداً رويداً على عُنُقي البدويّ . ولا بأسَ في بَسْمَةٍ هذَّبَتْها التجاربُ . تمتد تحت الشراشفِ ساقٌ تُداعب ساقي . وتلكزُني بدلالٍ من التُّخمةِ الحَضَريَّةِ سيدةٌ أرهقَتْها المباذلُ . تهمسُ : هل أعجبتْكَ المغنية التونسيةُ؟ أم أَضجَرَتْكَ رواياتُ هذا الأمير السعوديّ عن صفقات السلاح الأخيرة؟ هل تعشق البحرَ مثلي ؟ أَتعلمُ أنَّ السباحَة عاريةً هي أحلى الهواياتِ عندي ؟! لا سيما في أماسيِّ فينيسيا المُقمِرةْ.

يتناهى إلى القلب ما تفعلُ النَّزواتُ الثريَّةُ بالجُثثِ المُقفِرةْ .

فجأةً تخجلُ الروحُ من عُريها

يخجَلُ العُقمُ من عُقمِهِ

تخجلُ النخلةُ المثمرة .

فجأةً وتضيقُ المساحاتُ

ألقصرُ زنزانةٌ للغريب
تَطولُ المسافاتُ في الحزنِ
تضربُني . تضربُ الروحَ زلزلةٌ
تسقطُ التُّحف الغاليهْ
تتحطَّمُ فوقَ الرُّخامِ العريقِ الصحونُ المذهَّبَة الراقيهْ
فجأةً تبدأ المجزَرَهْ
تبدأ المجزرهْ
في أماسيِّ ڤينيسيا المُقمِرهْ
. . . .
أستغيثُ ولا أستغيث
يدي وردةٌ من رصاصْ
فجَّرَت عطرَها الدمويَّ
على الدرجاتِ القريبةِ من جامع « القَصَبهْ »
(مُقرِيءُ الغاز يستوطن الرئة الوادعهْ)
ويدي وردةٌ للخلاصْ
قذفَتْ عطر أحزانها المرعبهْ
حجراً نابضاً

فِي فضاءٍ من المَوت والشهوةِ اللاذعهْ
هٰهُنا .. هٰهُنا .. لا مناصْ.
كانت المعصيهْ
ويكونُ القصاصْ
ويكونُ هنا مطلع الأغنيهْ :
« طفلةٌ »
طفلةٌ شاهَدوها على شاشةِ التلفزيون
فِي كل بيتْ
وَهْيَ في ثوبها المدرسيِّ محاصرةٌ
وَهْيَ خائفةٌ
وهي طافحةٌ بقروحِ العذاب القديمةِ
صارخةٌ دونَ صوتْ
فجأةً طوحتْ يدُها في فضاءِ الرَّدى
آنقبضتْ قَسَماتُ الحديدِ على غيظِها
آنفجرتْ غيمةٌ في المدى
آنفجرتْ وردةٌ ناسفهْ
لم تَعُدْ خائفهْ

أيخافُ من الموتِ ميّتْ ؟

. . . .

شاهَدوها على شاشةِ التلفزيون

في كل بيتْ

واستدارَ المُذيعُ الأنيقُ

إلى ماكياج المذيعةِ

في نبأٍ عاجلٍ

عن شؤون الأميرةِ « آنْ »

. . . .

واستدارَ الزمانْ

. . . .

شاهدوها على شاشةِ التلفزيون في كل بيتْ

غضبوا .. دونَ صوتْ

سَكَبوا دمعتينِ على دمِها

أتقَنوا كلماتِ الرثاءِ الوجيزةَ

وانسَحَبوا

عائدين إلى زمن لا يعود

إلى شَهَوات النساءِ الصغيراتِ
في رُدُهات الفنادقِ
للجَدَلِ المتحضِّر حَول خَبايا السياسات
للجوني ووكر (بالثلج)
للصُّحُفِ الأجنبيةِ
مَوْتى وتبعثهُم للحياةِ جرائمُهُم
إثمُهُم طاهرٌ
عقَّمَتْه الكوارثُ والذكرياتُ النبيلةُ
لا بأسَ في دمعتينِ على دَمِها
في المراثي الرصينةِ
في زمن لا يعودُ ..

. . . .

وها أنذا استغيثُ ولا أستغيثُ
أنا العربيُّ المُضيءُ
ألتقيُّ البريءُ
أنا قُوة الشعراء
بُلوغُ المغنّين

لم تسمَعوني

ولم تُبصروني

وحيداً بعيداً

بُراقَ الأغاني الحميمةْ

أُرشِدوني إلى بلدي

وخذوا بيدي

خطوةً في سديم الجريمَةْ

أرشدوني إلى جسدي

أرشِدوني إلى طلقةِ الرحمةِ الثانيةْ

وَخُذوني

إلى ضربتي القاضيةْ ..

. . . .

. . . .

أستغيثُ ولا أستغيثُ

أبي .. يا أبي

رحلتي في اتجاهين

تذكرتي لاتجاهٍ وَحيدْ

فوقَ أرضٍ تميدْ .

يا أبي

من يُؤاخي دَمي في انفجاراتِهِ المُرعبهْ

من يواسي صواعقَهُ المتعَبهْ

يا أبي

من يردُّ اللحافَ على جَسَدِ الطفلةِ النائمهْ

في فِراش التهاليلِ والحُلمِ

مَنْ ؟

من يصد رياحَ الجحيم عن الوردةِ الناعمهْ

من يقول الكلام الأخير

لدبابة الهمج القادمهْ

بأناشيدها واحتفالاتها القاتمهْ ؟

. . . .

يا أبي

تلك أسناننا تتفتّتُ تحت الهراوات

في غُربةِ الكولينوس .

شَعْرُنا يتساقطُ في قبضةِ الفاتحين

وفي ساحة بريليانتين
يا أبي
هوذا مَلِكُ الغازِ والكِنْت
يذبحُنا بسيوف اللهبْ
نحنُ أسرى الأسى والتعبْ
في غياهِب سجنِ الغزاة
وأسرار رِنتْغِن
نحنُ سَبايا مخاوفِنا المزمنهْ
بينَ دَمْعَتِنا السِّر
والضِّحْكَةِ المعلَنَهْ
يا أبي
يا أبي
أعطني يَدَكَ المؤمنهْ .
يا أبي
أنا شيطانُهُم زمناً .. والملاكْ
زَمَنا
لم يعد لي مكانٌ هناكْ

لم يعد لي مكانٌ هنا
وأنا
لم يعُد لي أنا
من يَلُمُّ الشراكْ
من يفكُّ الشِّباك
يا أَبي
من سواكْ ؟!

. . . .

أستغيثُ . ولا أستغيثُ
آسمعيني وما من سميعٍ أجيبي وما من مُجيبٍ
أغيثي وما من مُغيث
لأني أُريدك من جسدٍ وأُريدُكِ من حُلُم
وأجيئُك في باقةٍ من زهورِ جبالي الأسيرةِ
أختارُها زهرةً زهرةً وأجيئك
يا امرأةً من رمالِ صحاراي
يا آمرأتي وأَجيئُك
في باقةٍ من زهورِ القرابين

تختارُني مقتلاً مقتلاً

وأُغنّي

يا إلهي أعنّي !

يا إلهي أعنّي على صَبَواتِ دَمي البدويّ

أعدني إليّ

انتشلني ..

. . . .

أنذا في صِراطي إليكِ

آفتَحي بابَكِ الذهبيَّ المُطَعَّم بالنارِ والدمّ

قُومي افتَحي بابَكِ الذَّهبيَّ

لأدخُلَ ما شئتِ لي من جِنانِ الشَّهادات

يا آمرأتي

وأُغنّي

يا إلهي .. أعِنّي

. . . .

أستغيثُ . بمن أستغيث ؟

أستغيثُ . ولا أستغيث ..

عمامة للمملوك
طربوش للآغا
وقداس لبيروت

لا خُبزَ غير وداعة الأموات
فليكن الإدام
وَشَلاً على الأحداق خلف الدمعة المتحجِّرةْ
ولكِ المجاعةُ والسلام
يا أُسرتي المغلوبةَ المغلولةَ المتكبِّرةْ
القمحُ . هذا العام . منذورٌ لحربِ جلالةِ السلطان
حسبُ المؤمنين رضا جلالته ووعدٌ بالذُرةْ

ولجنده لبنُ القطيع ولحمُهُ

ولخيله ذهبُ الخلايا الخيِّرهْ

والحمد لله الذي وهب المنازلَ قنطرةْ

بردُ الشتاء يطولُ

والأعمار تقصرُ

والمصائرُ مضمرةْ

لا بد من حرب وقد شاخت نساء جلالة السلطان

واقتضت السبّايا مجزرةْ ..

من أين نبدأ سيّدي المملوك ؟

نبدأ من مجال السيف

في أعناق من كَفروا بنعمتنا

ومن نكثوا ببيعتنا

ومن خرجوا على فَرَمان طاعتنا

ونبدأ

باقتلاع خواتم السلطان من يده القتيلةْ

وبحزِّ أعناق الحريم

عن الجواهر واللآلىء

كي تباركَها عمامتنا الجليلةْ ..

من أين نبدأ .. سيِّدي الآغا ؟

سنبدأ من دم المملوك

نبدأ من بدايات المجون

ومن نهايات الجنون

ومستحيل المغفرةْ

لنعيدَ للطربوش حُمرتَهُ

وللقفطان خضرتَهُ

وللسلطان هيبتَهُ وجزيتَهُ

وللقتلى .. رخام المقبرةْ ..

...

من أين نبدأ سادتي الشهداء والجرحى ؟

سنبدأ من عذاب مشوَّهي الحرب الصغارْ .

ومن الضحايا والسبايا

تحت رايات الهلاك

وبين أسماء الدمارْ .

من أين نبدأ ما انتهينا ؟
البدءُ
بسم الله
قداسٌ لبيروتَ التي انبلجت على خيل العربْ
نجديةً حسناءَ
هابطةً إلى كنعان
صاعدةً إلى لبنان
فاتحةً بلا سيف ولا رمحٍ
مدجَّجَةً بأصدافٍ تُهلِّل للخشبْ
بيروت ذاهبة على سفن من الصحراء
بيرقُها أَلِفْباءُ المشارِقِ والمغاربِ
صوتُها هزجُ الزجاج على صدور الغيد
موغلةً إلى جُزُر الذَهبْ
بيروت . بنتٌ روضتْ خيلَ الرياح الهوج
وانخطفتْ بعاصفةِ اللهبْ

بيروت سيدة الغِوى

بيروت كاهنةُ الغَضَبْ

ظمئتْ

فمنذا يشتري دمها المعتق في السرابِ

بكوز ماءْ

ظمئتْ

لسهرَتِها وسكرَتِها ومَيْسَتِها على زندِ الطربْ

والكأسُ قاحلةٌ

وما في الكرمِ شوقٌ للعنبْ

بيروت .

يا سبحان من يَهبُ الهباتِ كما يشاء

ويستردُّ متى يشاءْ

ويَسْتَبِدُّ بما وَهَبْ .

(بيروتُ مرهَقةٌ من الترحالِ في أعماقِها

والنزف في آفاقها

بيروت أدركت الرضا الأغلى

وأدركها التَعبْ
كتبتْ حروفَ الله والإنسان
واجترحتْ قيامتَها
بحرفٍ مقتضَبْ)

لشقائق النعمان أن ترتاح
في أفياءِ أرز الله
للدوريّ أن يأوي لعشٍّ
آمن من شهوة الأفعى
وأن يشتاقَ قرميدَ الليالي المُقمِرَةْ
ولقلب عشتاروت أن يرتاح
من ضَوضاءِ طائرة تدمِّرُ وردةً
وقذيفةٍ تلقي غبارَ الطَّلْعِ
فوق مجنزرةْ

(ذاب الجراجمةُ القدامى في تلوج العسف
وانزلقوا وراء الشمس

عن عصيان صنّين العنيدْ
ذابوا وعادوا من جديدْ
في صورة الثلج القديم
ومحنة الثلج القديم
ولعنة الدَّم للوريدْ
ذابوا .. وعادوا من جديد ..)

يا أيها الموتى
أُشاطِرُكم حياتي الباقية
فاستسلِموا للحُب !
وانتزعوا أمامَ البحرِ والصحراء
أقنعة الوُجوه القاسية
يا أيها الموتى الأحبةُ
كيفَ أرشدُكم إلى نبعي
وكيفَ أُزيحُ عن أفواهكم
غَضَبَ الكؤوسِ الدامية ؟
لا تجرحوا ظلَّ الصنوبرْ

لا تفرحوا بجنود قيصرْ
يا أيها الموتى الأحبةُ
وادخلوا بيتي الحرام
ومالحوا أهلي الكرام
وصالحوا لغة البدايات الأصيلةْ ..

لحبيبتي بيروت قُدَّاسٌ
ونذرٌ للشهادة والسلام
ووردة حمراء من وجعي
على وجع الجديلةْ ..
(بابٌ على الصحراء مفتوحٌ
لأبواب على الأشلاءِ موصدةٍ
لأبواب تصدُّ البحر
غرباً تلو غربٍ تلو غَرْبْ
ما زال للصحراء قلبْ
ويظلُّ يخفقُ من لواعِجها
ويشرقُ في هوادجها

ويُبرق بيرقاً وقصيدة وجنونَ شَغْبْ

بيروت فانتفضي

وقومي من رمادِكِ يا ٱبنةَ العنقاء

يا شرفَ الأوائلْ

بيروت

يا عار الطوائف والحمائلْ

والعشائر والقبائلْ

بيروت

يا حلماً وحيداً

حوله مليون قاتلْ ؟

بيروت

قومي من رمادِكِ يا ٱبنة العنقاء

عشتاروت

يا بيروت

يا بنتاً مدلَّلةً

تصيحُ بحزنها الدمويِّ
أرمَلةٌ تصيحُ :
(أنا . أنا جَمَلُ المحامِلْ
وأنا . أنا .جَمَل المَحامِلْ !!) .

بيروتُ
يا نوراً تحنُّ إلى سفائِنِه
مناراتُ السواحل !!

كرسي هزاز في
مقبرة الفيلة

مَطرٌ يأخُذُ البيدَ من سرٍّ أسرارها
ٱبتدِئي حفلَةَ البرقِ والرعدِ
وانتفِضي صبواتٍ تُشرِّعُ في الأفقِ أُفقاً
شتاءٌ على البيدِ
ولتأتِ عاصفةٌ من زهورِ الرمالِ
تَذرُّ ربيعاً على خَشَبٍ سَئِمَتْهُ التوابيتُ
وليأتِ صيفٌ شهيُّ المذاقِ

أخرجي وانضجي يا ثمار الجُموحِ
المناخُ الرَّصينُ يُزاوجُ ما بينَ سِرَّين
أُنثى إلى ذَكَر
تتفتَّحُ ذاكرةُ الأرضِ عَنْ ذاتِها
تتهاوى الطقوسُ على ذاتِها
يا خريفُ انتَشِرْ في الأغاني
انتَثِرْ في المراثي
ابدأي وانتهي
وابدأي يا فصولْ
قيلَ لي -
آنَ لي أن أقولْ ..

١ ـ انتباهات

باغَتَتْني فلم أتردَدْ . وصِحتُ : أدخُليني أدخُلْكِ مُبتهجاً عاليَ الخطواتِ. أدخُليني أدخُلكِ . زوبعةً أو نسيماً . ندىً . فيضاناً .
وأدخلُ لو شئتِ . تُفاحةً ناضجةْ
حجراً في اكتظاظِ الركودِ . جناحاً يُخاطر في القمم الهائجةْ
وردةً هيّأتْ دَمَها لجنون الجهاتْ
ولْتكوني الردى . كيفما تشتهين
ولتكوني الحياةْ
أنتِ كائنةٌ . مرةً أبداً
ينبغي . مرةً أبداً . أن أكون
أُدخُليني أدخُلْكِ في وَهْلَةِ الضوءِ
أُمّي تُخالجُ هودَجَ حِنّائها
والدي سنديانٌ ولوزٌ
ولي. إخوتي. أخواتي . وقابلتي
إنهم طيبون . جميلون . مستبشرون
هكذا . ينبغي أن أكون

فلتزغردْ على رسلها القابله

« بَشِّروا العائله

بَشِّروا العائله »

(واستحتُ هُلاماً جديداً على صدر أُمي الجديد

ريثما تبدأ الرحلة القاتله

في انبهار الجحيم السعيد ..)

باغَتَتْني فلم أتردد . وبحتُ : آملكيني بمريولك المدرسيّ

بكاسكيت طفلٍ

أميرٍ على الحلم والورد والتّرف الأسْرويّ

أُدخُلي ملكوتي بتفاحة الموت

بالفرح الدمويّ ادخلي واشهديني

غلاماً طليقاً . أَلُفُّ على راحتي سُبحَةَ الحَسَنات

وسلسِلَةَ السيِّئات

أُصفِّرُ جذلانَ في حفلةِ الجنسِ بين نساءِ المدى ورجال الرياح

يدي للّواء

فمي ودمي للنشيد . ووجهيَ عبّادُ شمسِ الصباح

وأختزلُ الأرصفه

موغلاً في الغموض الشهيِّ . وفي قلق المعرفه
هكذا . فَلْيُباغِتْكِ طفلُ المَدارات
شيخُ المَزارات
باللعنةِ المُتْرَفه
يا ابنة الكلب . يا قرفي
آخ . يا وردة الروح . يا شغفي
يا حياة !
خطوةً للضباب
(ويكون المدى شهوةً غامضه)
وخطا للسراب
(ويكون المدى طفرةً رافضه)
ثورةً
ثورةً
يا جموحَ الرؤى وسُعارَ الشباب
من عراءِ البداياتِ حتى الملاذ الأخير
صدفةٌ من نكوصٍ إلى آصره
نظرةٌ ساخره

ويكون الملاذ الأخير
طلقةً من يدي
تركتْ طَعمَها في فمي
وانتباهاً أخيراً على ساحةٍ أو سرير .
(وعلى طبقٍ من عروقِ الدوالي وسيقانِ قمح القبور
سوف تأتينني بطعامي الفقير ..)
هكذا . لفّقي كيفما تشتهين
لن تقومي على طَلَلي
إنّ لي
هالة الحزن . لي شهوة الياسمين
وأكاليل شوك اليقين
لفّقي . لفّقي . يا حياةْ
ملكتْ جسدي غبطتي
وامتلكتُ السّماتْ .
هكذا ..
ولدٌ ليلكيّ
فيه أنمو وأعدو.. وَفيّ

يُقبلُ الآن من أُفق اللحظةِ العابره
طائرٌ أخضرُ
في جناحيه من جَلْبَة الذاكره
سُحُبٌ ماطره
ومدىً مُعشِبٌ مُزهِرُ
يُقبلُ الآن . هل تُبصِرُ الأرضُ ما أُبصِرُ ؟
يُقبل الآن ـ دهراً من اللحظةِ النادِرَه
طائري الأخضرُ
طائري الأخضرُ
فليكنْ مَلَكوتي مدى الانتباهات
وليسترخْ جسدي
عارياً . بين قبرين من كِلْسٍ ذاكرَتي ورخام العقيده
أنذا ذاهب لرضاعي الجديدِ وأُمّي الجَديده
آه . فلتثْمِرِ السُّدْرَةُ الخالِدَه
وليكنْ ثَمراً ناضِجاً . رُطَباً . أُكُلاً طيباً ـ
(قَتَلَتْني
بَلى قَتَلَتني ثِمارُ السُّلالاتِ والأمَمِ الفاسده ..)

٢ ـ مراسيم الرّماد

لُغتانِ ـ على جَبَلَيْن . احتمالانِ ـ قُطبانِ
نارٌ خُرافيةٌ أمسكَتْ بالرِّداء القديمِ لسفحين من آدم
ـ هكذا قيل في كُتُبِ الله ـ
لي كُتُبٌ لا تقولُ سوى لغتي

. . . . . .

هذه . هذه قِصَّتي

. . . . . .

يبدأُ السُّخطُ في شَهَواتِ اللهيبِ المُجازف
تندلعُ الدَّعَواتُ ـ الأساطيرُ
موغلةً في غواياتِها
أيُّ وَجهٍ سَيطفو على برَكِ الدَّمِّ
من دَيْر ياسينَ حتّى تجاعيدِ وجهي
خُذوا عن فمي كأسَكم يا سُكارى دَمي
جرعةُ السمِّ واحدةٌ
والضحايا كثيرون

لا تتركوا أثراً للجريمه

ولَكُن كيفما تشتهينا بلادُ المراثي القديمه .

. . . . .

للفَراش المسائيِّ كانتْ مراسيمُهُ

للقناديل كانتْ تعاليمُها

للرمادِ مراسيمُهُ

(للرمادِ الذي نثرتْه الرياحُ على جَبَلَيْنْ

أثراً بعدَ عَيْن)

للسطوحِ . لسهْراتِها . للدوالي .

لِتَبوُّلةِ الفتياتِ يودِّعْنَ جاراتهنَّ قُبيل الزفاف

(للرمادِ مراسيمُهُ)

لأوانِ القطاف

للغُزاة مراسيمُهُم وتعاليمُهُم

فَلْيَقُل كاهنُ الموتِ أشياءَهُ

أنذا مَلِكٌ بايَعَتْهُ البداياتُ

توَّجَهُ الطقسُ

قالَتْ لَهُ الريحُ : خُذْني جواداً لصولةِ روحك

قال لَهُ البَرقُ : فَلأكُنِ الصَّوْلَجان
مَلِكٌ لا يخاف
عرشُه مِنبرٌ لامتلاءِ التضاريس
والتاجُ نافورةٌ لِزُلالِ الزَّمان
ملكٌ لا يخاف
حولَهُ جُندُه الساهرونَ على صَخرةِ الأَبَدِ الهائله
حولَهُ شَجَرٌ : للثمار . وللعائله
ولها أن تُعدَّ انهياري على كيفِها
لأعدَّ المراثي كما أشتهي
غائباً في سُدى وَصْفِها
كيفَ لي ؟
كيفَ لي أن أُقيمَ الدليل
في اختلاطِ الفصول ؟
كيف لي أن أصوغَ القرار
في ارتباكِ المدار ؟
كُلُّ من كُنْتُ أُشبِهُهُم
قَتَلوني على غِرَّتي

أقتَسَموا ثروتي
وَمَضوا يَلعَبونَ القمار
خسروا ..
ومضوا يلعبون القمارَ على جُثّتي
خسروا ..
كيفَ لا يُبهجُ السائحَ الأجنَبيّ
ذلك المنظرُ ؟؟
نارُ كِلْس القُبورِ على شفتيّ
رماد القَرابين في رئتيّ
احمِلوا جسدي عارياً
واقذِفوهُ من الجُرفِ ليمونةً عَصَرتْها شعوبُ المجاعاتِ
« يا جسدي ! » صحتُ مغتبطاً
لا توَجِّل طقوسَ التبددِ في ملتقى السفحِ بالسفحِ
من جبلين ـ نقيضين ، في واحدِ
أنت يا جسدي . فانتثِرْ وانتَشِرْ
لحظةً حُرَّةً
في عبوديَّةِ الأبَدِ الآبدِ

طاعةُ الحُزن مَكْرُمَةٌ . لا التِماسَ إلى حضرةِ الحُزنِ

خُذ أيها الحزنُ من جسدي ما تشاء

لكَ روحي بلا مِنَّةٍ (كان لي جسدي)

خُذْهُ يا سيِّدي

المراثي . هنا . والأغاني . سواء

وهنا يستوى ضَحِكٌ بالبُكاء .

مَلكي وحبيبي وذاكرتي

هاتِ خِنجَرَكَ الذهبيَّ

إلى سِرِّ خاصِرَتي

هاتِ نَصْلَ البَوارِ الى عُنُقي

لم تزلْ في الوريد

وجبةٌ من دم لجريحٍ جديد

لم تزل وردةٌ للشهيد ..

أيها الحزن يا أيها الولَد الشاطِرُ

لم يزلْ ليَ فيك المدى

أفقُه الفرحُ الغامِرُ

قُل لهم أيها الحزنُ

قُل للمغيرين عبر السُّدى

حاصِروا !

حاصِروا !

كلُّ شيءٍ سِوى كُلِّ شيء

صدىً عابِرُ

عابِرُ

أنَذا صِحْتُ مغتبطاً :

تُخْرِجُ الأرضُ أثقالَها

بَشَراً شَجَراً ديناصوراً يُعيد صياغتَهُ كوكبٌ لا تراه

العيونُ ارتباكٌ طفيفٌ يميلُ الموازينَ فوق

الموازين يرتَسِمُ الحَيُّ في شَهَواتِ الجَماد

وتصيرُ البلاد

غَيْرَها

يتساءَل كُهّانُها عن عقائِدِهم يتساءَلُ عُشّاقُها عن

أميراتِهِم يتساءَلُ عن وَحْيِهم شُعَراء أقاموا

على كلِّ عَصْرٍ قليلا

ثمّ ضلّوا السبيلا

إيه أيتُها الأرضُ يا جَسَدي

يا أبي أنتِ . يا وَلَدي

ضِقْتِ بي أعترفي ضقتِ بالغَلَيانِ الرَّهيبِ احتَفَلْتِ

بهِ زمناً ثُم ضِقْتِ

وأنا ضقتُ أعترفُ الآن ضقتُ بدورتِكِ الفادِحَهْ

فلتكنْ لي حياةٌ مضتْ وحياةٌ ستأتي

وليكنْ لكِ مَوتي

وليكنْ ضيقُنا الفاتحه

لانفجارٍ جَديدٍ يَصوغُ بداياتِهِ الجامحه

صحتُ مغتبطاً : جسدي ! آخٍ . يا جَسَدي

حكمةُ الموتِ واحدةٌ

وكثيرٌ ضَلالُ الحياةْ

فليقُلْ كاهنُ الموتِ أشياءَهُ

وليشبَّ حَريقُ اللغاتْ

للرمادِ

مراسيمُهُ .

٣ ـ الكرسيّ

قِيلَ : فَلْيَمنَح الشُّهَداءُ ملامِحَهُم للتُّرابْ

قيلَ : ولينفعوا الناسَ . وليَمْكُثوا

صوراً في كتابْ

وعلى سُنَّةِ الله في خَلقِهِ

يستعيرُ انتباهاتِهِم . ومراسيمَهُم . وتعاليمَهُم

قارىء الموتِ (مُنتدِباً موتَهُ ..)

ليفكَّ الرُّموزْ

ويفضَّ حجابَ الغيابْ

من بكاءِ الوليدِ . إلى صَبَواتِ الغُلامِ . إلى صَلَواتِ العَجوزْ

لم يَقُدْني دَمي للشَّهادة

ليسَ لي غير ما كانَ لي من دِماءِ الولاده

ليس لي غير كرسيٍّ ... (مِن خَشَب الذكرياتْ

وحُطام اللغاتْ)

في اهتزازاتِهِ رَسَمَ اللهُ رَقَّاصَ ساعَتِيَ الدانِيَه

(إيه دُنيا الغِوايات . والفِتَنِ الفانيه)

لِيَ كرسيٌّ
هزّاتُه للبراكين
آخرُهُ مُدرِكٌ أولَهْ
أينَ مقبرةُ الفِيَلَه ؟
أينَ مقبرةُ الفِيَلَه ؟
أشتري لي ذراعاً مِنَ الأرضِ في رَحْبِها
رافعاً تاجَ مَوْتي إلى جَبْهَتي
مُعْلناً بدءَ مُلكي على شَعْبِها ..
قِيلَ « كُنْ » . في الشروق افتتحتُ لكينونَتي أُفُقاً لَوْلَبِيّاً
يَلُمُّ انفجاراتِ روحي عَلى أُفُقٍ لولَبِيّ
طالعٍ من نِظام يَدَيّ
غائرٍ في المدى الفَوْضَويّ

بدؤُهُ وردةٌ من دَمٍ
والخِتامْ
نجمةٌ عانقَتْ نَجْمَها في فِراش الظلامْ .
« كُنْ » . تآمرتُ (بعضي يُخاتلُني أو يُقاتِلني)

حَذْأَةٌ ـ عَندليباً

تُعاركني طَفَراتُ دَمي صاخباً في حصارٍ من الغزوِ والسيلوفانْ

دولٌ واعتباراتُها . أُمَمٌ وضعُها طارىءٌ . عالمٌ ثالثٌ (بَهَظَتْني

الديون !) اقتصادٌ

يُغامرُ في القمحِ والجوعِ والتكنولوجيا . مشاريع ريٍّ .

صناعاتُ حرب .

صراعٌ . رضاعٌ . رضاعٌ . جفافٌ . سيول . سجونٌ .

رهانْ .

جِيَفٌ سيلوفانْ

حُجُبٌ من رضا ـ غَيَّبَتْ حُجُباً من أسى . غَيبتْ حُجُباً من

دُخانْ

ذَرّةٌ . ليزر . ساتيلا يتس . مُعضلاتُ التفاوت بينَ الشمالِ

وبين الجنوب

السلام . الحروب . إير پوليوشن . النظامُ . الشعوب .

الثقوب . الأوزون

الجيوب . الفضاء . السموم . البغاء . الوباء . اللوكيميا

وسوء الغذاء .

سرطانٌ قديمٌ ـ علاجٌ جديدٌ . سحاق . لواط . وإيدزْ .
صُحُفُ العُري والمافيا .
خَطَرُ الجنْسِ والنيكوتين . حُقَنُ النفطِ والسمِّ والهيروين ،
كوكايين . سمكٌ ميِّتٌ
في بحار الشمالِ .
سناجٌ على شَجَر الرئتين ـ انتحارٌ بطيءٌ بأُنشوطةٍ من
دخانِ المصانع . طائرةٌ سقطتْ في المَزارع . مؤتمرٌ صحفيّ
صرَّحَ الناطقُ العسكريّ .
هيروشيما تُعاقِبُني
بولاداتها الشائهةْ
هيروشيما تُعاتِبُني
بنباتاتِها الشائِهةْ
كيفَ أُفهِمُها أنني متُّ في موتِها ؟
هيروشيما تُطالِبُني
كيف تَفْهَمُني ؟
يومَ تاهَ جناحُ الإلهِ الأخير على أُفْقِها
غبتُ في التيه . مُنخطِفاً واجدا

أحَداً واحدا
لم يزلْ تائهاً في خُطى أُمِّهِ التائهَهْ
هيروشيما تُخاطِبُني
آخِ من صَخَب الروحِ في موتِها
آخِ من صَمْتها
هيروشيما التي
أدركَتْني . وما أدركتْ لَعْنَتي ..
« كُنْ ! »
تمالَكْتُ من دَهْشَتي ما استطعتُ قُبيل الغروبْ
ارتجلتُ الحياةَ كما تشتهي
وارتجلت الجنونْ
عاصفاً في السكونْ
مطلَقاً في الأبدْ
مفرداً في العددْ
نِضْوَ حُرّيَّةٍ
يستضيءُ دماً صاخباً في رُكود السجونْ
حكمةً صلبةً ـ هشّةً

هشّةً ـ صلبةً
أدركَتْها . وما أدركَتْها الظنونْ
قيلَ « كُنْ »
فلأكُنْ ما يكون
وليكُنْ ما أكون
للولادات : أشواقُها
للأساطيرِ أوراقُها
للأعاصيرِ : أخلاقُها
زمنٌ للحصادْ
زمنٌ لذبولِ العبادْ
وازدهار البلادْ
للحروب مواعيدها
موعدٌ للغَرامْ
موعدٌ للسَّلامْ
لفمي موعدٌ بين صمتٍ وصمتٍ
تقولُ الأغاني سخونَتَها الجامِحَةْ
لعجين الرمادِ مع الدمعةِ الجارِحَه

لِيَ كُرْسِيَّ .. للمِيتَةِ المُقبلهْ
أين مقبرةُ الفِيَلَه ؟
يا انفجاراتِ حُلمي ولَحمي من اللحظَةِ الفادِحه ؟
أينَ مقبرةُ الفِيَله ؟

. . . .

ساكنٌ كلُّ شيءٍ (سوى كلِّ شيءٍ !) على الجَبْهَةِ الداميه
ساكنٌ . يا صغارَ الشّتاتِ القديم
ساكنٌ . فاخرُجوا من ولاداتِكُم في الحَضيضِ
إلى قمم الشهوةِ الشاهِقه
واخرجوا .. في صِراطِ دمي المُستَقيم
جسرُ أرواحِكُم جسدٌ عابرٌ
دمُ قُمصانِكُم رايةُ العافيه
والرّدى : سدرةٌ باسِقه

. . . .

يا صغاري .
كما كُنْتُكُم لن تكونوا
لن تكونَ المنافي . الضحايا . السبايا . السجونُ

لن يكونَ المناخُ الضَّنينْ

يا فِراخي

وآخي

وحُلمي المطلَّ من الجُلجُله

لكمُ الشمسُ . والسُّنْبُلَه

. . . . . .

يا انتباهي الجديد

وعذابي السعيد

ليَ كُرسيَّ ... للمِيتةِ المُقْبِلَه

إنَّها مُقبله

ملءَ أطرافيَ المُسْبَلَه

وهُنا . ههُنا . ههُنا .

فليكُن أُفْقُ ميلادِكُم

سقف مَقبرتي .. سقفَ مَقْبَرَةِ الفِيَله .

أدخنة كاتم الصوت

(١)

وَرْدَتانِ على شاهِدهْ

لَكِ واحدةٌ

ولهُ واحده

أنتما الآن في غفلةٍ

عن بكاءِ الأسيرْ

فأنعما كيفما شئتما

فى فِراش التُرابِ الوثيرْ
وأتركاه أتركاه
يقول النشيدَ الأخيرْ
فوق جثّتِهِ الخامدهْ ..

(٢)

يا قناديل دمي المنطفئهْ
لم تزلْ لي
لم تزل لي في الذُّبالاتِ امرأهْ
لم تزل لي
شَهَواتي المرجأهْ ..

(٣)

فرسٌ من بخار الحساءْ
صهلتْ فوق مائدةِ الرُّجلِ
الميّت
وانطلقتْ
نجمةً في السَّماءْ

(٤)

وَسَواءٌ

قصُرَ الحِسْبانُ أوْ طالَ

الحِسابْ

هذِه الوردةُ

من هذا التُّراب .

(٥)

غادَرَتْني يَدي

هكذا

دونما مهلة للوداعْ

غادرتني إلى بلدي

في بقاع وراء البقاعْ .

(٦)

على شَهْقَةِ النّاي

في بيد قيس ولَيلى

على شَهْقَةِ النّاي

في سفح « حَيْدَرَ »

ما بين موتي وطلعِ الشَّجَرْ
يسيلُ دَمي
ويسيلُ دَمي
ويسيلُ القَمَرْ
على شهقةِ النّاي
بينَ القضاء وبيْنَ القَدَرْ ..

(٧)

رجلٌ من صفيحٍ
على مقعدٍ من صفيح
يمدُّ يداً للطعامْ
رجلٌ جائعٌ من سنينْ
ضائعٌ في الرَّنينْ
صَدِيءٌ مُهْمَلٌ في الرُكامْ

(٨)

أتهاوى على مِقعَدي
مُفلتاً للفراغَ ذراعيَّ
يهتزُّ بِي المقعدُ الخشبيُّ

إلى النّوْبَةِ القادِمهْ ..

أتهاوَى

عَلَى الخاتِمَهْ ..

(٩)

ومِثْلَما تـ ـنـ ـكـ ـسـ ـر البيْضة

فوق حافَةِ المقلى

سَتُكْـ ـسرين

أيّتها الأرضُ

على لسانِ هذا القلمِ اللعينْ

لأنَّ لي جوهرةً

ووردةً في الحَمَأ المسْنُونْ ..

(١٠)

أعْلَمُ أنَّها

دسَّتْ لِيَ السُّمَّ

وشجَّعَتْني

كي أشربَ الكأسَ الى

الثُّمالَهْ

أعْلَمُ أنها

دسَّت لي السُّمَّ

وقبَّلَتْني

حتى أموتَ هادئاً

فوق رصيفِ القِططِ الضَّالَةِ

والكلابِ

والزِّبالهْ ..

(١١)

أيُّها الناسُ الذين استُدرِجوا

من آخِرِ الأرضِ

لماذا تقذفونْ

ضجَّة المرساةِ في هذا

السكونْ ؟

أيُّها الناسُ الذين ابتَهَجوا

في مأتمي

من بعْدِ دَفْني

تندمونْ ..

وعلى هيكليَ العظميّ
فجراً .. تُدفَنونْ

(١٢)

أَلخُيولُ التي تَصْهَلُ الآنَ
في الساحةِ الداميَهْ
جُثَثٌ باقيهْ ..
والخيولُ التي تصهل الآنَ
في الجُثَثِ الباقِيَهْ
جولةٌ ثانِيهْ ..

(١٣)

قيلَ لامرأةٍ تَتَعرّى جزافاً
- متى تولَدينْ ؟
قالَت :
- انتظِروا ،
جَسَدي فكرةٌ للجَنينْ ..

(١٤)

وفي آخرِ الليل

يَهبِطُ بي الدَّرَجُ اللولبيُّ
إلى البَهْو
لا أُشعلُ الضوءَ
تَكفي الشموعُ المُضيئةُ في
لَوْحةِ الزَّيتِ
تكفي العيونُ المشعَّةُ فوقَ
الجدارْ ..
وفي آخر الليل لا يُقبلُ العطرُ
من وردةٍ في الحَديقَةِ
أعرفُ أزهارَ رسَّامة من
« مَنَغْوا »
التقيتُ بها في القطارِ
المسائيِّ باريس - روما
وَأَوْلَدْتُها لوحةً لهدوءِ الأقاليم
خلفَ ضَجيج القِطارْ
وفي آخرِ الليلِ
تَرجعُ للقلب غِرْبانُهُ

وينامُ النهَار ..

(١٥)

صافَحَتْني

وحينَ مَضَتْ

رافَقَتْها ذِراعي

ضاعَتا في الضَّياعِ ..

(١٦)

شاعرٌ قوسُ قُزَحْ

يركضُ الأولادُ حتى يلمَسوهْ

يَخْتَفي

كي يَذْكُروهْ

في مواعيدِ الفَرَحْ

(١٧)

كونوا على حَذَرْ

كونوا على حَذَرْ

الوردةُ النُّحاسُ

لا تَسْتَعجِلُ المَطَرْ

(١٨)

وَبَعْدُ .. أو قَبْلُ

يَجُبُّني اللَّيْلُ

خُرافةً

ينامُ في فِراشِها طِفْلُ ..

(١٩)

وفي عمودي الفِقَرِيِّ

امرأةٌ تَسْعى

قصيدةً ،

أفعى

(٢٠)

أقرأُ الجُثَثَ الطافِيَهْ

فوقَ آبارِ نَفطي البعيدةِ

تقرأُني البادِيَهْ

نُطْفَةً آتِيَهْ

من فُقاعاتِ رُوحي

على سَطْحِ مقبَرتي النَّائِيَهْ ..

(٢١)

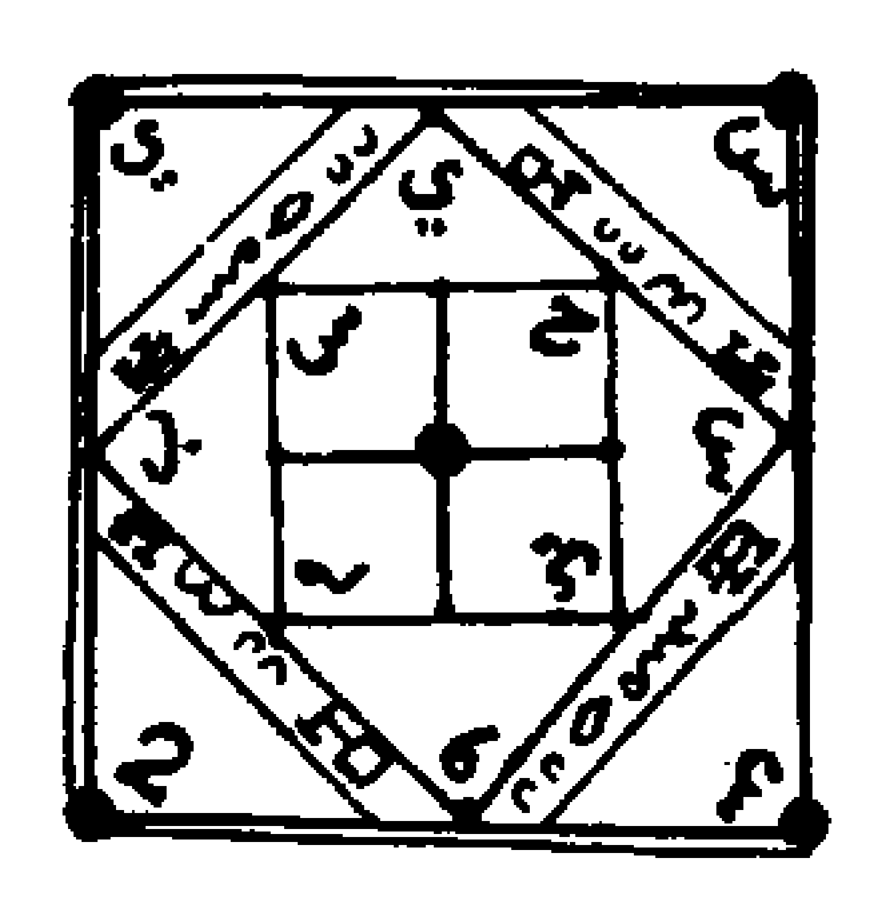
راحتي مُصحفٌ
غادَرَتْهُ السُّوَرْ
رُدَّ لي مُصحَفي
رُدَّ لي سُوَري
رُدَّ لي راحَتي
أيُّهذا الحَجَرْ ..

(٢٢)

لم أمُتْ بعدُ
ها أنذا لم أزَلْ
جُثَّتي فَيْلَقي
حارِساً خندَقي
بينَ أهلي الطُّغاةِ ثَمودْ
وطغاةِ اليَهودْ
لم أمُتْ
ذاهبٌ
كي أعودْ ..

اخذة الأميرة « يبوس »

جَزِعاً مسكوناً بالحُمَّى . يَرْقُمُ حَيّوتُ الأعمى . في لَوحِ الآجرِّ المدهونِ بزيتِ المعبدِ . أُخْذَةَ حَيّوتَ الرّائي . لأميرةِ مُدُنِ الدُّنيا ونساءِ الأرض « يَبوس » :



يا « إيل » المقتدرُ على الرَّغَباتْ

أُسكبْ صَيْهَدَ بيدكَ في رَحْمِ يَبوس

فلا يُذهبُ شهوَتَها ماء

غيرِ النهرِ القادم

من سين السرِّ إلى حاءِ الحبّ

يا رَبّ

يا ربَّ الأشياءِ جميعاً

يا ربَّ جميع الأشياءْ

ضَعْ في قَلبِ يبوسَ جميعَ المَيْل

إلى مُقتَبَلِ السين ومُكتَمل الحاءْ

ضَعْ شوكاً في مَدْرَجَةٍ لا تُفضي بِيَبوس

إلى سيِّدِ عُشّاق يَبُوس

مَلِكِ الحنطَةِ والنّاموسْ

ضَعْ ورداً تحتَ خُطاها الصاعدةِ

إلى مَلِكِ الكَلماتْ

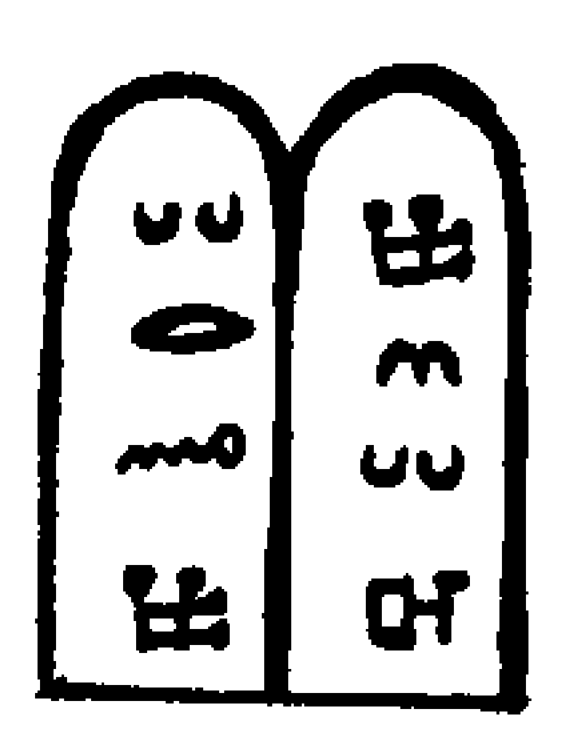
يا « إيل » المقتدرُ على الرغباتْ

مُرٌّ ولِبانٌ وبخورْ

وحدائقُ نورْ
يا إيلِ القُدُّوسْ
ضَرُّفْ قلبَ يَبوسْ
من سِين الساحر
حتى سين المَسْحورة والمَسْحور ..

الأخذة الثانية

بالمِسْك . بماءِ الوَرد وسرٍّ النارْ
يَرْقُمُ هذي الأخذَةَ كاهِنُ عَشْتارْ :



من كلِّ جهاتِ الأرض تهبُّ رياحُ الشَّهوة

لتسوقَ لقاحَ الوَلَدِ المسكونِ المَمْسوسْ

إلى أشجار البنتِ يَبوسْ .

تَعرى من كلِّ الأثوابْ

تطرُدُها كلُّ الأبوابْ

يأتيها الغَيْبُ بأنَّ يديه الكسْوَةْ

وإليه الخطوةْ

ولديهِ الحُظوةْ

ويكونُ الولدُ عريساً

وتكونُ البنتُ عروسْ

هذا حُكْمُ إله الحُب

وهذا نَجْمُ البِنْتِ يَبوسْ .

الأخذة الثالثة

يا أيَّتُها الربةُ عَشْتارْ :

عاشِقُها الماءُ الأوحَدُ

فاَصلِي قَلْبَ يبوسَ النَّارْ !

الأخذة الرابعة

أنا كاهنُ العشقِ والشوقِ
أكْتُبُ أُخذَةَ بنتٍ تُسمَّى يَبوسْ
إلى وَلَدٍ رأسُهُ طافِحٌ
فوقَ كلِّ الرُّؤوسْ
وفي قَلبِهِ نَجْمةٌ لا تَنامْ
وفي كَرْمِهِ ثَمرٌ ناضجٌ
لطقوس الغَرامْ

ألا فاْحزمي الأمْرَ أيتُها الآلهْ

ألا واْحزِمي الأمرَ أيتُها الآلهْ

بأنْ تُصبحَ البنتُ

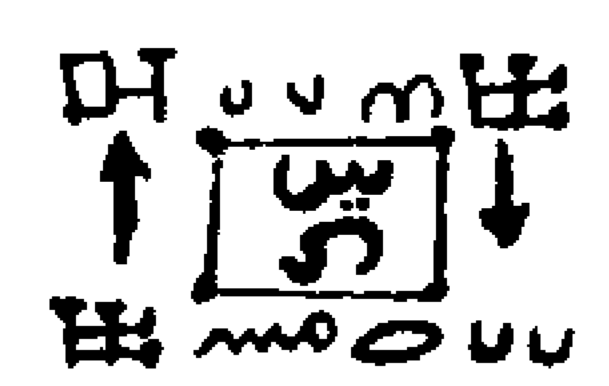
والِهَةً .. والِهَهْ

ألا واجعَلي سُكْرَها صَحْوَهْ

ألا واْرفعي وَجْهَها نَحْوَهُ

ألا وليَكُنْ قلبُ هذا الفتى البدويِّ الأميرْ

مَلاذَ يَبوسَ الأخيرْ ..



الأخذة الخامسة

يَتَضَرَّعُ كاهنُ إيلْ
أنْ تذهبَ في التِّيهِ يَبوس
وَتَطْلُبَ في الناس دليلًا
يَتَضَرَّعُ كاهنُ إيلْ
أنَّ العاشقَ وَحْدَهْ
مَنْحىً . مَنْجىً . وَدَليلْ
والفارسَ وَحْدَهْ
يَقْطفُ هذي الوَرْدَهْ .

الأخذة السادسة

وَلْيَكُنْ أن تجوعَ يَبوس

كثيراً تَجوع

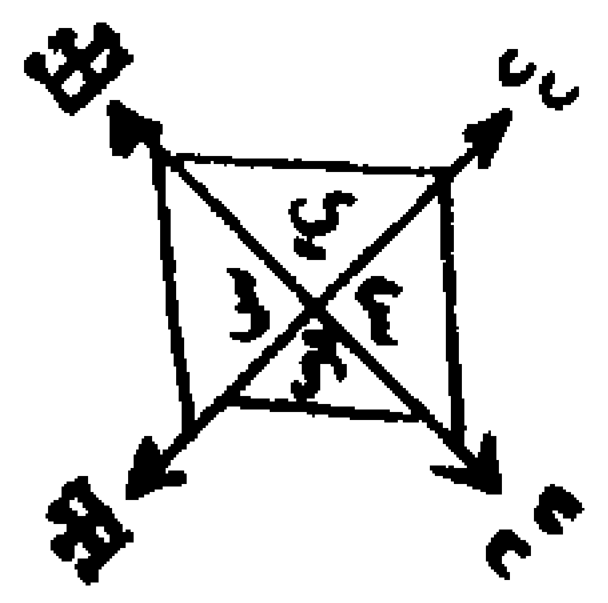
وَلْيَكُن أنَّها تجدُ القوتَ في بيتِه

وَلْيَكُن أنْ تَضيعَ يَبوس

كثيراً تَضيع

وَلْيَكُنْ أنها تهتدي

بصدى صَوْتِهِ ..



الأخذة السابعة

أنا كاهنُ الرُّوحِ والقَلْب
في المَقْتِ والحُب
أغرسُ في لَيْلها نَجْمَهُ
وأرقُمُ بالنارِ والعِطْر
في الماءِ والصَّخْر
أرقُمُ أُخذَتَها وَٱسمها وٱسمَهُ .

عَلَى ثَمَرِ الكَرْمِ تُبصرُ فَصْلَ فُصولِ يَدَيْه
وَفي وَرَقِ الغارِ تَلْمسُ آفاقَ عَيْنَيه
تَسْمَعُهُ همسةً في المَدير
وتشربُهُ قطرةً من ضياءٍ أخير
وَفي صَمْتِها تَسْمَعُهْ
وفي صَوْتِها تَسْمَعُهْ
وبينَ البراري
عَلى الليلِ
عبرَ النهارِ
إلى أَبدٍ آبدٍ تَتْبَعُهْ ..

(١٩٩٠/٥/٢٢)

ليالي العشر في الرميلة

الليلة الأولى

يميلُ النخيلْ

عليكَ، لتأكُلَ ـ

كُلْ ما اشتهيتْ

ألا أيّهذا القتيلْ

بدأت ،

ولمّا انتهيتْ ..

الليلة الثانية

يـداكَ عـلى أُفْقِ الحـرائقِ نـامَتـا
وقلبُـك تحت الرمـلِ راحَ بما أتى
أُناديكَ. هل تُصغي؟ سؤالي إجابـةٌ
فلا «أين؟»، بعد الموتِ، فيك، ولا «متى؟»

الليلة الثالثة

بين طائرةٍ قَصَفَتنا. وطائرةٍ سوف تقصفُنا ـ
طائرهْ
بين قنبلةٍ نَسَفتنا . وقنبلةٍ قَذَفتنا ـ
دُمى طفلةٍ
تتناثرُ أشلاؤها في حفائرنا الغائرهْ

*

بين بغداد والقاهره
طفلةٌ ضامِرَه

*

بين جرحي وجرحي

أساطيرُ أيامنا الغابره

*

في انقصاف النخيلْ

الجميلْ

الطويلْ

كلُّ مئذنةٍ تستحيلْ

شاعراً

أو قتيلْ

كلُّ أغنيةٍ قُنبله

كلُّ مرثيةٍ بوصله

كلُّ قنبلةٍ سنبله

كلُّ سنبلةٍ مُعضله

كلُّ معضلةٍ معبرٌ

نحو باب الزمانِ النبيلْ ..

*

يا انفجارَ دمي

بئرَ نفطٍ من الحزنِ
في بئر حزنٍ من النفطِ
يا عبوتي الناسفهْ
كيفَ أنجو بجلدي من اللغةِ الآسفهْ ؟
كيف أوصدُ هذا النزيفَ
المخيفَ
من الوردةِ النازفهْ ؟
من دليلي سواي
إلى منبعِ العاصفهْ ؟
من يُعيد خُطاي
إلى منبعِ العاصفهْ ؟
بين ساعاتنا الواقفهْ ؟!

الليلة الرابعة

مُدُني
آخِ. يا مُدُني الخائنه

هِيَذي
حلّتِ العاصفه
شَعرَها
هِيَذي -
فوق أشلائها واقفه !

الليلة الخامسة

أُكابرُ في سرّي . ويُصغِرُني جَهْري
وأُمعنُ في أمري . وكم حِرْتُ في أمري
نَكلتُ جسوري في العراقِ، ودَيَّدَني
« عيونُ المها بين الرصافةِ والجسرِ » !!

الليلة السادسة

ينهضون مع الفجرِ من موتهم
ينفضون غبار الجريمةِ عن بعضِ أطرافهم

(بعضُها لم يزل ضائعاً في رمالِ الخليجِ)
ينادون في لهجةِ الأمهات القديماتِ
« يُمّهْ ! »
ويجيبُ اللهيبُ القريبُ الغريبُ
يلوبُ النحيبُ
يذوبُ الوجيبُ
تنوبُ الندوبُ يغيبُ الدبيبُ
وينشقُّ عن نَوْزِ ماءٍ
وحفنةِ تمرٍ
كثيبُ
وتنشقُّ عتمهْ

*

ينهضونَ
ولا ينهضُ الأفُق المغمضُ

*

الأنابيبُ أوردةٌ تنبضُ
آه . يا أيها الميْتُ لو ترفضُ

آه . لو ترفضُ
جُثثٌ في المدى تركضُ

*

ملكُ القوط . في جُثّتي يربضُ .

الليلة السابعة

راسفاً في الوجَعْ
آسفاً
كاسفاً
في خرابِ الجشَعْ
أشتهي من نخيلي القديم
حُشفةً . قد تُقيتْ
في هزالي المقيتْ
في صراط دمي المستقيم ..

الليلة الثامنة

ألا ليتني حفنةً من رمال الخليجْ
أُوسِّدُ رأسَكْ
وأرفعُ كأسَكْ
وحين تمُرُّ وفود الحجيجْ
أشاهدُ عُرسَكْ
وأرصُدُ في مطلع الشمسِ
شَمْسَكْ !

الليلة التاسعة

دَمـاري حـانتي . ودمي السُّـلافَـه
فـلا جسـرٌ هنـاكَ . ولا رصـافَـه
عـلى بـابِ الخليفـةِ ضـاعَ صـوتي
وضاعتْ في خِلافته الخلافَه !! ←

الليلة العاشرة

صاحَ في رُدُهاتِ الخرابِ : ارفضوا
أيها الميّتون ارفضوا وانهضوا
ضيّقٌ موتُكم
والجنازاتُ واسعةٌ
والمدى الحيُّ بين مقابركم ينبضُ
فانهضوا
هوذا ملك القوط
في باحة المنزل الخاوية
هوذا ، بشعائره الداميه
فوق سرجٍ يحفُّ بفضّتِهِ
عسكرٌ يدلقون النبيذ على امرأةٍ عاريه
والرّدى يرفضُ
والمدى ينهضُ
فارفضوا
وانهضوا

*

صاحَ في زيتِ عرّافةٍ
ساقُها تتدلّى مع الشمسِ
من عَرَباتِ النَّوَرْ
سمعتْ صوتَه الباديه
وأصاخَ الحَضَر
إنهضوا
يا كُسالى الجحيم انهضوا
قَدَراً في القَدَرْ

*

والبساتينُ تعطي النساءَ الأميرات
تفاحةً
من أمير الغوايات
هذا المغنّي الرجيمِ
وتعطي الينابيع كوثرها الدمويَّ
لقائد دبّابةٍ قَصَفتها « الأپاتشي »
بلا موعدٍ سابقٍ
كلُّ موتٍ صغيرٌ

إذا قيسَ بالنومِ في زمنِ الشُّغلِ

صاحَ : انهضوا

*

سقطوا بالألوف على الرملِ والزيتِ

ما استُشهدوا كيفَ شاءوا

ولكنَّهم سقطوا قبل موعدهم

- سمعوا ؟

- ربما . بعد موعدهم

بعد صيحتِهِ الثانيه ..

* هوذا ملك القوط

في باحة المنزل الخاويه ..

قلب سايكو

بلى. وَخَطَ الشيبُ قُبعتي. لا أكابرُ. ربطةُ عنقي حائلةُ اللون. طَفَحُ العذاب على معطفي. لا أكابرُ. يا سيدي الوقت. كم من صباح جديد سأنهض محتسياً قهوتي نفسها. من فناجينك الأزليّة ؟ كم من حلاقة ذقنٍ ومعجون كولغيت سأعبرُ ؟ كم من طعامٍ وكم من سلامٍ وكم من كلامٍ وكم من عبور سأعبر يا سيدي الوقت ؟ كم مرة سوف أقلقُ ليلاً وكم مرة سأطلُ من المنزل الجبليّ على قريتي النائمةْ ؟

وكم مرة سأنام وأصحو. أنام وأصحو. أنام وأصحو.. الى الخاتمة ؟

هربتُ اليكَ. ومنك هربتُ. احتميتُ بأمجادك الموسمية. خبأتُ سرّي في خيمة السيرك. غنيتُ طوفانك الدمويّ. وخاطبتُ نفسي في وحشة الليل. آخيتُ بينِ السنابل والنار. يا سيدي الوقت. أوصدتُ سمعيَ عن وقع خطوتك القادمة.

أميراً على المؤمنين ولا مؤمنين. اصطفاني الصعاليكُ من أصفيائي. لكي يسلبوني. وما ظل عنديَ للسلب والنهب. غير عذاب جهنم في اتقيائي. وبئس المصير. وفي أصدقائي. هنا تتقطر من بلح الذكريات أغانيٌّ.

ينفجرُ البرقُ من خطوتي ألف عام. هنا تتمشى الأميراتُ حولي. يلامسن شالي الذي يتهاوى شهاباً. ومن كتفيَّ الى آخر الارض يَنشرُ نورا ونارا.

ويا أيها الوقتُ. كم مرة يتهاوى شهابي ؟ وكم مرة من رمادي سأنهض ؟ يا أيها الوقت. لي مطرٌ في نهاياته مطرٌ ليس لي. شجر كان لي. ثمر ليس لي.

وزفافٌ سعيد قُبيل الجنازة أو بعدها بوليدٍ جديدٍ. فصولٌ تدور

على جسدي. محوراً قائماً. وتدور على بلدي. دورة الأبد القائمة..

ولي في المدار القديم مدارٌ. وأهل ودار. ولي كُتُب وصغارٌ. وشوك وغار. وأسئلة دائمةْ..

ولي غفلة عنك في قلب سايكو. ويا سيدي الوقت لي غفلة منك عن قلب سايكو ونبضته الحاسمةْ..

نهارٌ يوزع حلواه بين خصومي وبينيَ. ليلٌ يُريح أكاليل أمواته في فراشيَ. دقات قلبيَ مَفْخرة للالكترونيكا.. قلبُ سايكو هنا ! (لأبي هيبةُ الأوميغا !) أيها الوقت ها أنتذا تضحكُ الآن ملءَ المواعيد.. تجمعنا نبضةً.. نبضةً ثم تنثُرنا سكتاتُ القلوب. وتبكي وتضحك يا وقت. إيقاعُك الحكمة الأبديةُ. مارشُ المعارك ظلك. ديسكو الرغائب جنازُ إدراكنا. أيها الوقت. من يُسعف القلب. من يُنصفُ الروح. من يوقظ النور في العتمة الفاحمةْ ؟

ومن يوقظ الوهم بالوهم ؟ كم من طريق سأعبر ؟ كم من زحام وكم من غرام وكم من صدام. ومن واجهاتٍ ومن عتباتٍ ومن حفلاتٍ ومستشفيات.

وكم من ليال سأعبرُ بعدُ ؟ ويا سيدي الوقت. أخشى انحناء العظام وأخشى الترهُّل. لا أستسيغُ الأطباء. لا أستريحُ لهمس الصيادلة الصارمين. وولولة الأمبولانس. وأخشى المفارِقَ. قتلى الحوادث يا سيدي الوقت قتلى الهوى. السرطان. التلوث والحزن. أكبر من شهوات الحروب. وأكثر مما تقول قُشَعْريرة الفجأة الداهمةْ..

ومن عادة الموت أن يشتهينا اغتيالاً. على غرةٍ من صفاء النوايا. يفاجئنا صاحبٌ من قديم الزمان بأُلفتِهِ المستعارة ينزع عن وجهه واسمه ويديه وعن روحه المستعارة أقنعةً أفعمت عمرنا بالحماس الضروريّ كي تستقيم الحياة. يمد مسدّسه ليصافح تاريخنا المستعار.

يقول الرصاصَ الحقيقي تلو الكلام الصدى المستعار ونفغر أفواهنا دهشين. نفتّح أعيننا لاتساع يفكّ غموضَ الأساطير يمحو الاشارات يلغي اللغات يلمُّ رموز الطلاسم في لفظةِ «أنت» ؟ نهوي ونغرق في دمنا المتلعثم قبل انكسار الشعاع الأخير على سطح مرآتنا القاتمةْ.

ويا وقتُ

من عادتي أن أبوح بما لا يباح

وأن أغرس الورد بين الدموع وبين الجراحْ

فما راح آبَ

ومن آبَ راحْ

ومن صادَقَ الموتَ فيهِ استراحْ

بلى. وَخَطَ الشيبُ لَحمي وقبعتي. شردَتْني الحقيقة. خامرني الشك. يا سيدي الوقت. عارية صبواتي. قليل سلامي. ولي من جنوني صديق وحيد يصارحني. كلماتي ملوكٌ قدامى انتهى نسلهم بوصول الغزاةِ. سلاطينُ روحي عبيدُ الخرافات. يا سيدي الوقت قل لي. متى تتمالك عصيانك القدريّ ؟ متى تتهذبُ ؟ قل لي متى تتعلم درساً من الوقت. يا وقت. هبني غبار خطاك الأخيرة. كي أكتبَ اسمي على بابك الحجريّ المخيف. واغمض عينيّ عنك. وعن لعنة الأغنيات. ومجزرة الكلمات. وعن مهجتي الهائمةْ..

لمن كلُّ هذا ؟ رؤوس تشبُ على الماء في فيضان أخير. هديرٌ
وصيحات غرقى. استغاثات سيدة رَمَّلتها الزوابع. بحرٌ من
الرمل والزبد البشريّ يهيج على بر روحي. صواعقُ رزنامةٍ
غائمةْ..

أخذتُ فضاءَك يا وقت. في ساعة الصفر. كنتُ وحيداً فكنتُ.
تزودتُ من زُحَلٍ بوقودي الفضائي. جاوزت دهراً من الضوء
وحدي. ووحديَ نقَّلت خطوي. من كوكبٍ لا تراهُ العيونُ.
الى كوكبٍ لا تراه الظنونُ. الى كوكب لا تراهُ الكواكب.
خلف مجرتها العائمةْ...

أتيتُ.. رأيتُ.. ولم أنتصرْ
وطال انتظاري.. فمن أنتظرْ ؟
وطال انكساري. ولن أنكسرْ

أتيتُ. رأيتُ. وعدتُ الى كوكب الروح محترقاً عارياً. من
ورائي الحريقُ. وأفقٌ يضيقُ. وجسمي على الفَمْر يطفو. وعدتُ
بلى عدتُ. وحدي. بلى. وخط الشيبُ روحي وباروكتي.

أنهكتْني أعاصير باديتي. حفرتْ في جبيني أخاديدها. اخترقت محجريَّ. مضتْ عبر جمجمتي. لبقاع تراودني. كي أؤمّ بوهمي اليقين مجاهلها الواهمةْ..

على سُلَّمٍ من هياكل عظمي القديمة. تصعد فوجاً ففوجا. شعوبٌ من الريح والليل والثلج تصعد مثقلة بعذابي القديم المقيم. وتصعد شعباً فشعباً. الى وطن كان لي. تتجامع في وطن كان لي. تتكاثر في جثتي الواجمةْ..

ومن أضلعي سلَّم للمطارات. جلدي حقائبُ للقادمين الى وطن ليس لي. ليس لي غيرُهُ. ليس غيري له. وطنٍ كفنٍ. ليس لي غيرهُ. ليس غيري له. وطني وطني وأنا العاصمةْ..

تقدس سرك يا وقت. كيف تَدَنسَ جَهرك يا وقت ؟ كيف استوى الخير والشر والرجس والطهر. والبرد والحر. والحلو والمر. في

كأس الظالمةْ ؟ !

وآمنتُ آمنتُ يا وقتُ.. لا عدل لا ظلم. لا حرب لا سلم ! إلا لسلطتك الغاشمةْ !!

ولي أن أقولْ

خبايا الفصولْ

ولي أن أقالْ

صدىً في الجبالْ

ولي أن أكون

جناحَيْ ملاك

هنا أو هناك

ولي أن أكون

ضلالة عقلٍ وحمّى انتباهٍ

ولي أن أكون

هُدىً في الجنون

أخاً ثالثاً..

أخاً ثالثاً. أيها الوقت، ما بين قايين في صمته الدموي وهابيل في موته العبثي. أخاً ثالثاً بين موت ثقيل وعار ثقيل. فيا سيدي الوقت. هبني وما كنت في الفاهمين. مواعظك الفاهمهْ.. أيسمع صوتي قايين ؟ هابيل. هل أنت مصغٍ اليّ ؟.. ويا أخويّ. على بئر نفط تُجيَّش هذي الجيوشُ ؟ وقلبي يموتُ.

وموتي يعيش ؟ ويا أخويّ. حبيبيٌ. يا قاتليٌ على جانبَيْ بئر نفط تُراقُ الدماءُ ؟ ويا أخويّ. أخٌ ثالث. دمه في مزارعهِ. سائل. سائب في جوامعه سارح. سائح في كنائسه. ساخنٌ ساخطٌ في مدارسه. دمه في شوارعه. وجهه في حديد الغزاة. يداه لنيرانهم. فمه فاغر بصراخ الضحايا. وآخ السبايا. اخ مؤمن بين نارين كافرتين. أنا هو ذاك العذاب القديم المقيم.

على كل بابٍ وقفتُ طويلا..

وعن كل باب طُردتُ. وعدتُ ورحتُ. وراوحتُ جيلاً فجيلا.

ولا الشكلُ شكلي

أمانْ. آه. يا لَلِّي.

ولا الظل ظلي.

أمانْ. آه. يا لَلِّي.

ولا الدار داري

ولا الجار جاري

ولا الاهل أهلي

أمان. آه. يا لَلِّي

بأية عينٍ

وفي أي ليلٍ
الا أيها الوقت بالله قُل لي
متى تتصدعُ جدران سجني العتيق.. وتُعتِقُني هذه اللازمةْ ؟
أمانْ. آه. يا لَلّيْ !!

كلامُ الملوكِ الذي لا يُعادُ. كلامُك.. صوتُ الجماهير صوتك.
ألكائناتُ سواسية فيك. يا من تغيب الخلائق ذرّاً فذرّاً. تصير
الى صور تتوالد. دهراً فدهراً. وتبقى اقامتك الدائمةْ..
الا أيها الوقت. قلنا وقلنا. بكل اللغات. وكل الرموز. وكل
الاشارات. قلنا وقلنا. وهنا نحن. ألْسنَة عقدتها الخلاصةُ. لا لم
نقل. أيها الأبكم الفذّ. في صمتك القول والفصل والحكمة
الحاكمةْ.
الى أين تفضي ؟ الى أين تمضي سلالاتك الحرة الراغمةْ ؟ ويا
سيدي الوقت. عدتُ ولم أمضِ. في كل بحر سبحتُ وبُحت.
على كل ريح جمحتُ وصحتُ. ويا وقتُ. أدركتُ سرّ الحجارة.
قلتُ الحديدَ. وهذبتُ روح البرونز. اصطفيت النحاسَ طويلًا.

ومن ذهب خالص. قلتُ أمضي الى ذهبٍ خالصٍ. عبرَ ما
تمنحُ الارضُ. عشباً وحلماً. مروراً بصُبح الحدائق. صافحت
في رحلتي دهشةَ الكائنات. اصطحبتُ شعوباً بلا عددٍ. وقبائلَ
في نسلها تتعارفُ. بانيةً هادمهْ..
وبانيةً هادمهْ
ويا وقت. بانيةً قُدسَ أقداسها ملءَ أنقضاضِ خيباتها الآثمهْ.
مباركة بالبروق. منزهة عن مسيل دمي. بالهيولى مباركة.
بالكلام الصحيح. بصدق اللسان مباركة. بنقاء الضمير. وقلتُ:
منزهة عن مسيل دمي. كيف أغمطها حقها ؟ دنّسَتْها براءَتُها.
لا مفرَّ منْ الحزن كفارة الكائنات. ليجتمع الخلقُ. حقاً.
ليجتمع الخلقُ في أي شكل. قطيعاً وعائلةً. غابةً ومحيطاً وسرباً.
ليجتمع الخلقُ حول الكنوز المثيرة. سراً. علانية. ليبوحوا
بأحلامهم خلف حد العناصر. وليشتهوا كيف شاءوا. يداً في
يدٍ. أيها الوقت. وليكشفوا بعض ما تشتهي. وليكنْ في يديك
المصيرُ. سنبلى فرادى. وتبقى الأخير. ونبلى على كثرةٍ. وتظلُّ
الأخيرَ الاخير وحيداً بسلطان ضربتك القاصمهْ.
ولي ثرثراتُ المعادن فيك خُلاصتها. أيها الوقتُ. تنسى وتذكر.

عفوَ السجية. هامشك الخلق. أخلاقك الطقس. نَرْدُك ما يتناثر
في الكون من أنجمٍ ووجوه. تقول الزلازل لو أغضبتْك
المسافاتُ. ثم تقولُ الرضا وردةً ناعمهْ.

لكَ المجدُ «سايكو» نسمّيك من أنت ؟ من نحن. نحن أنا في
ختام الفجيعةِ. نقعي على حُزننا الدمويِّ. وننحي على جدنا
الوقت باللائمهْ.

زجاج يحطمه الحزنُ في آخر العمر. تذوي الشظايا على
صمتها. كسرة كسرةً. لا أواصرَ. لا موجة من رنين تمرُّ بذرّاتها
الأخوية. لا حزمة من ضياء. ولا خيلاء. شظايا. ومكنستي
لحيتي تتذمرُ معزولةً. وشظايا أنا. هو. أنت. شظايا. على ذاتها
جاثمهْ.

لك المجدُ.. يا وقت. آمنتُ. لا عدلَ إلا لسُلطتك الغاشمهْ !

هنا قلبُ سايكو

دمي رايتي. أيها الوقتُ لا
تؤرخْ لفوضى عروقي. ولا
تمجدْ قرابين حزني. ولا
تَدُسْ رايتي قبل موتي. ولا

تَبُسْ رايتي بعد موتي. ولا
تردَّ أخير دمي أولا
أمرتَ
أطعتُ
هنا قلبُ سايكو
هنا ينزف القلبُ، أحزان سايكو

أُجالسُ صمتي. أخاطبه لا يرد. يخاطبني لا أرد. أجالس صمتي
ظَهراً لظهرٍ. أصابع مشبوكة بقنوط ملولٍ على رُكبةٍ واجمهْ.
هنا قلبُ سايكوَ !!
وأنتَ هناك. ولستَ هناك. لأنك كلٌّ بغيرِ حدودٍ. ونحن
الحدودُ.
وأجزاؤنا فيكَ يا وقت هائمة حائمهْ..
ويا وقتُ. لم تستجبْ لذكورة هذي الحياة أنوثتُها الحالمهْ.
ولم يبق الا التفسخُ في الشمسِ والريح. لم يبقَ الا انتظار
الفُجاءات. منصهرٌ رجلُ النارِ والثلج. هل تستعيد الخلايا
المريضةُ عافيةَ البدء ؟ هل يسترد الدمُ المتفصّد ايقاع دورتِهِ

الصارمةْ ؟

زهورٌ لسايكو. زهور على قبر عرّافةٍ خطفتْها البروقُ من الشُرفات البعيدةِ. واستبدلتْها ببوصلةٍ للسقوط الجديد. زهور لقلب بلا كهرباء وإنفوزيا. وبلا جلطةٍ داهمةْ..

زهور لهذا الشحوب المفاجىء. للعائدين هشيماً. وكم بذّروا الوقتَ في أملِ العودة السالمةْ.

زهورٌ على نبضكَ المتلاشي. دخاناً صدىً لاحتفالٍ أخير بميلادِ عامٍ أخيرٍ. زهورٌ على الوقت. يا قلبَ سايكو المريض بِدقّته الحازمه..

زهورٌ على قبر سايكو..

ولي قلبُ سايكو.. هنا قلبُ سايكو.. هُنا.. وفصولٌ تُعري ضحالَتَها. وفصولٌ تخبِّيءُ عارَ المَلالِ. إلى أيِّ شكل تؤول بتكرارها العبثيِّ ؟ إلى أيّ حالٍ تحولُ مصادرُها ؟ لا أُكابرُ. أعلمُ أني المصبُ الأخيرُ. وأعلمُ أنك يا وقت سيدنا. لا أُكابر. لا وقتَ لي كي أُكابر. ها أنت تشهدُني في طقوس التفتتِ. مندثراً بهدوء الكفافِ. مريضاً بُحزني المعاق. بَلى. وَخَطَ الشيبُ قُبّعتي. قادَ روحي برفقٍ الى كهفهِ الملكيّ. وداعاً. وداعاً. أنا

ذاهبٌ أيها الوقت. قد نلتقي تحتَ شاهدةٍ من رُخام ونقش
يقول بدون
كلام:

هُنا قَلْبُ سايكو
هُنا يرقُدُ الصمتُ في قلب سايكو
زهورٌ... على قبرِ سايكو.

المحتويات

■ **دار سعاد الصباح**

للنشر والتوزيع

هي مؤسسة ثقافية عربية مسجلة بدولة الكويت وجمهورية مصر العربية وتهدف إلى نشر ما هو جدير بالنشر من روائع التراث العربي والثقافة العربية المعاصرة والتجارب الابداعية للشباب العربي من المحيط إلى الخليج وكذا ترجمة ونشر روائع الثقافات الأخرى حتى تكون في متناول أبناء الأمة فهذه الدار هي حلقة وصل بين التراث والمعاصرة وبين كبار المبدعين وشبابهم وهي نافذة للعرب على العالم ونافذة للعالم على الأمة العربية وتلتزم الدار فيما تنشره بمعايير تضعها هيئة مستقلة من كبار المفكرين العرب في مجالات الإبداع المختلفة .


ت ٩٣٢٧٠٦

